



عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

التعددية الثقافية في الذكريات الطنطاوية

أريج "محمد يوسف" أحمد دوفش

رسالة ماجستير

القدس-فلسطين

2024-1446م

التعددية الثقافية في الذكريات الطنطاوية

إعداد :

أريج "محمد يوسف" أحمد دوفش

بكالوريوس : اللغة العربية وآدابها من جامعة القدس / فلسطين

المشرف: أ.د. مشهور الحبّازي .

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج اللغة

العربية وآدابها من كلية الآداب في جامعة القدس - فلسطين .

1446هـ - 2024م



جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
برنامج اللغة العربية وآدابها

إجازة الرسالة

التعددية الثقافية في الذكريات الطنطاوية

اسم الطالبة: أريج "محمد يوسف" أحمد دوفش

الرقم الجامعي: 21920142

المشرف: أ. د. مشهور حبازي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 2024/8/27 من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

التوقيع:
التوقيع:
التوقيع:

1. رئيس لجنة المناقشة: أ.د. مشهور حبازي
2. ممتحنًا داخليًا: د. جمال غيطان
3. ممتحنًا خارجيًا: د. عبد الخالق عيسى

القدس - فلسطين

1446هـ - 2024م

الإهداء :

لأهل غزة وشهداء الأبرار، لمن رسموا بصمودهم صور العزة والكرامة، لمن أعادوا للإسلام عزّته، وضخّوا بأرواحهم في سبيل الله دفاعًا عن كرامة الأمة وعزتها، إلى أسرانا البواسل، لمن لم يرضوا بالذلّ ودافعوا عن كرامة الأمة، إلى أبي الغالي وخالتي، وأخوتي ورفاقي في هذه الحياة: عبدالله، وأيمن، وأبرار، إلى روح أمي وجدتي التي أحاطتني دائمًا بدعواتها ورحلت قبل أن أتم هذا البحث بعام، إلى كل من ترك في النفس أثرًا طيبًا إليكم أهدى هذا البحث.

إقرار

أقر أنا معدة هذه الرسالة أنها قدمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما تم الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أية درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

التوقيع: 

الاسم : أريج محمد يوسف أحمد دوفش.

التاريخ: 27 / 8 / 2024م

شكرٌ وتقدير:

أشكر الله سبحانه وتعالى أن منّ علي وأعانني على إتمام هذا العمل، وإنهاء جهد السنوات الماضية وتعبها، وأسأله سبحانه القبول والإخلاص.

وأُتقدّم بالشكر للأستاذ المشرف الدكتور الفاضل: (مشهور حبّازي)، على ما بذله من جهد ومتابعة لإنجاز هذا العمل.

ولا أنسى تقديم الشكر لأستاذي ووالدي الشيخ: "محمد يوسف " دوفش، الذي ساعدني وأعانني، وكان مرجعاً لي في كثيرٍ من الأحيان، والذي وفر لي الكثير من المراجع التي ساعدتني على إنجاز الرسالة ومن أهمّها كتاب الذكريات للشيخ والأديب علي الطنطاوي.

والشكر موصول لأساتذتي في دائرة اللّغة العربيّة .

المخلص

جاءت هذه الدراسة بعنوان (التعددية الثقافية في الذكريات الطنطاوية)، والذي دفعني لدراسة هذا الموضوع أسباب عديدة أهمها: تفرّد هذه الدراسة بعنوانها وموضوعها، والرّد على المستشرقين الذين يدّعون عدم وجود تعددية ثقافية في البلاد الإسلامية، وإلقاء الضوء على العصر الذي عاش فيه الأديب علي الطنطاوي، وعلى كتبه، وذكرياته؛ لما فيها من فائدة ومنتعة للقارئ.

وتلخصت أهميتها في بيان وجود التعايش بين النّاس باختلاف دياناتهم وثقافتهم في دولة واحدة، وبيان اختلاف العادات والتقاليد واللهجات بين الدول والمدن، وتوضيح مدلولات بعض الكلمات التي يختلف معناها من دولة إلى أخرى، وإلقاء الضوء على تاريخ الشام الذي تغيّر وتبدل في الحقبة التي عاش فيها الشيخ مرّات عديدة بين احتلال واستقلال، مما أدى إلى تعدد العادات ودخول بعض الكلمات العربية وغير العربية إلى المجتمعات عدا تنوع اللهجات والتغيرات السياسية والاجتماعية العديدة .

وقد رجعت فيها لعدّة دراسات منها: التعددية الثقافية في رحلة ابن جبير للدكتور مشهور حبازي، و(علي الطنطاوي فقيه الأدباء وأديب الفقهاء) لمجاهد ديرانية، وإشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر جدلية الاندماج والتنوّع للباحث حسام الدين مجيد، كما وعدت إلى العديد من المصادر والمراجع أهمها: كتاب الذكريات للشيخ علي الطنطاوي، وكتاب الشيخ علي الطنطاوي قاضيًا لمحمود العمراني، وجدّي علي طنطاوي كما عرفته للكاتبة عابدة العظم (حفيدة الشيخ الطنطاوي)، وخطط الشام لمحمد كرد علي، وتاريخ سورية الحديث عهد حافظ الأسد (1971-2000) لهاشم عثمان، وكتاب الأعلام للزركلي، وإسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة وغيرها.

وأتبعت في الدّراسة المنهج الوصفي والتاريخي، فاتحة الطريق أمام الباحثين بإلقاء الضوء على هذا النوع من الدّراسات، واستخراجها من وسط الكتب الأدبية. وتوصلت في نهاية الدراسة لعدّة نتائج أهمها: وجود تعايش بين الأديان في الدول الإسلامية في القرن العشرين، أهمية الاطلاع على الثقافات الأخرى، اختلاف دلالات بعض العادات والتقاليد بين الشعوب، وتباين المقاصد في بعض المصطلحات بين الدول، وتأثير الحروب على كافة مناحي الحياة بما فيها الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية، وأن كثرة تقلب الحكم في الشام أدى إلى تعدد العادات والتقاليد واللهجات وأثر على التعدد الاجتماعي .

Multiculturalism in Tantawian Memoirs

Prepared by: Areej Mohamd Yousef Ahmad Dofash

Supervisor: Dr. Mashour habazi

Abstract:

This research is titled "Multiculturalism in Tantawian Memoirs." There were multiple motives behind this research, most significantly: exploring this novel area of inquiry, responding to orientalist claims of the lack of multiculturalism in Islamic countries, and highlighting Ali At-Tantawi's life during his era, along with his books and memoirs that would bring joy and benefit to the reader's mind.

The significance of this research is summarized in its ability to highlight co-existence between people of various religions and cultures in one country, more specifically in Islamic countries, and the differences in customs, traditions, and accents between countries and cities. It also emphasized the distinct meaning of certain words that may change from one country to another. Moreover, this research shed some light on the history of Damascus, which constantly fell under occupation and liberation during the life of At-Tantawi. This caused customs, accents, along with political and social matters to change. Notably, these changes were accompanied by the introduction of Arabic and non-Arabic lexicons to societies.

This research referenced many studies, namely: "Multiculturalism in Ibn Jubair's Journey" by Mashhur H'abazi, "Ali At-Tantawi: the Author of Jurists and the Jurist of Authors" by Mujahid Dairania, "The Dilemma of Multiculturalism in Modern Political Thinking, the Controversy of Inclusion and Diversity" by Husam Ad-Din Majid. It also referenced the memoirs of Ali At-Tantawi, which was the main source for this research, as well as "Ash-Sheikh Ali At-Tantawi as a Jurist" by Mahmoud Al-I'mrani, "My Grandfather Ali At-Tantawi as I Knew Him" by A'bida A'thm, "Damascus Plans" by Muhammed Kurd Ali, "Modern Syrian History in the Hafez Al-Assad Era (1971-2000)" by Hashem Othman, "Great Figures" by Zarkali, "Islam without Sects" by Mustafa Ash-Shakaa, etc.

This research was conducted using descriptive and historical methods, this would pave the way for other researchers to shed light on this type of study and to infer it from literary books. This research concluded the following: the presence of co-existence among different religions in Islamic countries in the 20th century, the importance of being aware of other cultures, the various objectives of other people's customs, traditions, and lexicons, the effect of wars on the cultural, social, economic, and political aspects of life, and finally the creation of multiple customs, traditions, and accents as a result of the constant switching in Damascus' ruling, which also affected the social diversity overall.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا و قدوتنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد؛

فإنَّ الاختلاف سنّة إلهية بين جميع المخلوقات، وليس بين البشر وحدهم قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾¹ ، وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾²، لقد قضت مشيئة الله تعالى خلق الناس بعقول ومدارك متباينة إلى جانب اختلاف الألسنة والألوان والتصورات والأفكار، وكل هذه الأمور تقتضي تعدد الآراء والأحكام، وبالتالي تنوع الثقافات بين الشعوب .

والإنسان خُلِقَ مخيّرًا وأرسل الله له رسلاً تبيّن له طريق الحقّ وتحذره من طرق الضلال، ولم يكره الإسلام أحدًا على دخوله والاعتقاد به، قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾³، إلا أن الآيات بيّنت أنه لن يقبل عند الله غير الدين الإسلامي، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾⁴ ، " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ"⁵، ولنا في رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قدوة حسنة، فرسولنا الكريم لم يكره أحدًا على الإسلام، على الرغم من يقينه بأنّه الحق، ومن يتتبع سيرته، صلى الله عليه وسلم، يجد بأنّ الإسلام لم يمنح الحرية لغير المسلمين في البقاء على دينهم فقط، بل أباح لهم ممارسة شعائرهم، كما أنّ النبي، صلى الله عليه وسلم، كان ينهى أصحابه عن التعرّض لأصحاب الصوامع، ولم يتعرض يوماً لدور عبادة غير المسلمين.

¹ سورة الأنعام، 141/6.

² سورة الروم، 22/30.

³ سورة البقرة، 256/1.

⁴ سورة آل عمران، 19/2.

⁵ سورة آل عمران، 85/2.

كلّ هذا يبيّن لنا أنّ التعايش بين المسلمين وغير المسلمين كان موجودًا في البلاد الإسلامية على مرّ السنين، فلو تتبعنا التاريخ لوجدنا ما يؤكد ذلك، وهذا يخالف ما يدّعيه المستشرقون من عدم تعايش المسلمين مع الديانات الأخرى .

لقد جاءت هذه الرسالة " التعددية الثقافية في الذكريات الطنطاوية ردًا على هؤلاء المستشرقين موضحةً اختلاف الشعوب الثقافية والدينية والاجتماعية واللغوية والسياسية في فترة زمنية معينة وكيفية التعايش معها، وقد خصت الرسالة الحقبة التي عاشها الشيخ " علي الطنطاوي " وهي ما بين عام 1909 - 1999م .

ويرجع اختيار الموضوع لعدة أسباب أهمها : أنّي لم أجد فيما وصل إليه بحثي أو فيما أعلم من الباحثين من درس عن التعددية الثقافية التي وجدت في تلك الفترة، وأنّ الدراسات الموجودة عن التعددية بوجه عام ليست كثيرة، ولأنّ هذه الدراسة مستنبطة من كتاب أدبي لأديب معروف شهد هذه الفترة وعاشها، فهذا البحث يسلط الضوء على التعددية الثقافية من جهة ويحيي إرث ذلك الأديب الفقيه ذي القلم المبدع، الإنساني، القريب لقلوب كل من قرأ له وعاشه.

وتتبع أهمية هذا البحث في بيان وجود التعايش بين الناس باختلاف دياناتهم وثقافتهم في دولة واحدة ، وتسليط الضوء على الفترة التاريخية التي عاشها الشيخ الطنطاوي، كما وتبين رؤية هذه الفترة بوجهة نظر الأديب الذي عاش هذه الفترة وعاصرها، وتوضح التعدد الثقافي الذي وجد في البلاد التي عاش فيها وزارها الشيخ الطنطاوي، والتعرف على اللهجات المختلفة، واختلاف مدلولات بعض الكلمات بين البلاد، وأنها تعرفنا على اختلاف العادات والتقاليد واختلاف مقاصدها من بلد إلى آخر، وتوضح تاريخ حكم الشام المتغير وما له من آثار ثقافية واجتماعية وسياسية .

أما عن الدراسات التي أفادتني في هذا البحث، فهي : دراسة مشهور حيازي، بعنوان: (التعددية الثقافية في أدب الرحلات، رحلة ابن جبیر أنموذجًا) جامعة القدس-القدس، مجلة المجمع، أكاديمية القاسمي-مجمع القاسمي للغة العربية، فلسطين، (1440هـ -2019م)، الصفحات

(297-332)، بحثت عن أهم جوانب التعددية الثقافية في رحلة ابن جبير، من خلال تتبع حديثه عن البلدان التي زارها في رحلته المعروفة باسم " تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار"، حيث أفادتنني بإعطائي صورة شاملة عن الموضوع، وبيان أهمية الكتابة عن التعددية الثقافية بشكل عام، ودراسة مجاهد ديرانية، بعنوان: (علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء) دار القلم -دمشق 1421هـ/2001م، أفادتنني هذه الدراسة بالتعريف بالشيخ وسيرته، والاطلاع على كتبه ومواضيعها بوجه مختصر، ومعرفة الشيخ والوقت الذي عاش فيه من شخص عاصره، وعاشه، وسمع منه، وهو حفيده ابن ابنته: مجاهد ديرانية، ودراسة: حسام الدين علي مجيد، بعنوان (إشكاليّة التعدديّة الثقافيّة في الفكر السياسي المعاصر جدليّة الاندماج والتتوّع)، والتي أفادتنني في التعريف بالتعددية الثقافيّة في الفكر المعاصر .

وقد اعتمدت الدّراسة على المنهجين التاريخي والوصفي، فالإفادة من المنهج التاريخي هي السرد التاريخي لكثير من الأحداث السياسية والاجتماعية التي وقعت في ذلك الزمن، وأما الإفادة من المنهج الوصفي فتكمن في وصف بعض الأحداث والوقائع والشخصيات.

ورجعت في هذا البحث إلى العديد من المصادر والمراجع، أهمها كتاب: علي طنطاوي، ذكريات (1-8)، دار المنارة -دار ابن حزم، جدة، المملكة العربيّة السعوديّة، 2011، الطبعة السابعة، وكتاب: محمود العمراني (الشيخ علي الطنطاوي قاضيًا)، دار المنارة، الطبعة الأولى، 2017م، جدّة - السعوديّة، وبعض الكتب الأخرى التي أفادتنني في تعريف بعض الأعلام مثل : الأعلام لخير الدين الزركلي، وخطط الشام لمحمد كرد علي، الذي أفادني في معرفة تاريخ الشام في مطلع القرن العشرين، واسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة الذي أفادني في تعريف بعض المذاهب وغيرها .

هيكلة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة (التعددية الثقافية في الذكريات الطنطاوية) في مقدمة، وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة أتبعها بقائمة المصادر والمراجع . وقد بدأت بعد المقدمة التي عرّفت بها بالبحث، بالتمهيد الذي قسّمته لمبحثين، المبحث الأول : تحدثت فيه عن العصر الذي عاش في الشيخ علي الطنطاوي من النواحي السياسية، والثقافية، والاجتماعية، تحت كلّ حكم خضعت له الشام عبر تلك السنين، والمبحث الثاني هو: التعددية الثقافية اصطلاحًا، ذكرت فيه عدة تعاريف للتعددية الثقافية موضحة أهمية تطبيقها في المجتمعات، وتناولت في الفصل الأول الذي جاء بعنوان : سيرة الأديب علي الطنطاوي، ولادته، وأسرته، وعائلته، وتعليمه، ووظائفه، ووفاته . أمّا الفصل الثاني فهو بعنوان: التعددية اللغوية، وقسمته إلى أربعة مباحث وهي : المصطلحات غير العربية التي ذكرها الشيخ الطنطاوي، المصطلحات العربية التي ذكرها ووضّحها لشيوعها في زمن معيّن أو مكان معيّن، كلمات يختلف مدلولها باختلاف الجهة التي تمنحها، تعدّد اللهجات، والفصل الثالث بعنوان : التعددية الدينية، قسّمته إلى أربعة مباحث وهي: الديانات الموجودة في البلاد العربية، والأحزاب الإسلاميّة والمذاهب العقديّة والفقهية، والفصل الرابع والأخير بعنوان : التعددية الاجتماعية والسياسية، وقسمته إلى ستة مباحث وهي : فئات المجتمع في البلاد العربية، والعادات والتقاليد التي شاهدها الشيخ في مختلف البلدان، والأحزاب السياسية، والإسلام في الأحزاب السياسية، الحروب التي شهدها الطنطاوي وموقفه منها، المدارس والتعليم في عصر الطنطاوي .

-التمهيد :

المبحث الأول :الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في الشّام في عصر الطنطاوي.

المبحث الثاني : التعدّيّة الثقافيّة اصطلاحًا .

المبحث الأول : الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في الشام في عصر الطنطاوي:

ولد الشيخ الطنطاوي عام 1909م، فشهد على الصعيد السياسي والتاريخي الخلافة العثمانية وعاش تحت رايته، ثم شهد سقوطها، وشهد بعدها حكم الفرنسيين، والثورات ضدّهم، وشهد الحربين العالميتين وآثارهما على الشعوب، وشهد تغيير خريطة البلاد العربية وانقسامها دولاً، كما شهد قضية فلسطين من أولها، والانقلابات المتتالية في سوريا¹، وقد شهد ذلك العصر وجود رجال لا يخافون في الله لومة لائم، منهم الأساتذة والعلماء ومنهم الوطنيون والمناضلون وقفوا مع الحق، وبنّوا روح الحماس وحب المقاومة بين الشعب، وخطبوا النخوة والمروءة الإنسانية، وقد كان لذلك أثر على الشيخ ومن حوله.²

وسألقي الضوء في هذا التمهيد على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في الشام في فترات حكمها المتنوعة، وسأبدأ بالحكم العثماني منتهية الحديث عن حكم البعث وهو الامتداد الذي عاش خلاله الشيخ الطنطاوي -رحمه الله - .

أولاً : سوريا تحت الحكم العثماني:

ولد الشيخ في فترة عزل السلطان عبد الحميد الثاني عن الحكم، بعدما انقلبت عليه جمعية الاتحاد والترقي، التي كثرت الآمال والأمانى للناس بإصلاح الحال، إلا أنّ هذه الوعود كانت سراباً .

وبعد عزل السلطان، طردت الشام ولاتها وعمّالها الذين عرفوا بالجاسوسية لعبد الحميد، وقاموا بالنيل من رعيته، وحاولت جمعية الاتحاد أن تجعل أعضاء مجلس النواب ممن يميلوا إلى الحرية، ومن هو بعيد عن السياسة الحميدية، وسعت إلى تقليل عددهم في الشام وفي سائر الولايات العربية للمحافظة على الأقلية التركية، لأنّهم لا يريدون إلاّ دستوراً ينتعش به الأتراك، ويسعون إلى تترك العناصر لتؤلف جمعية الاتحاد أمة متجانسة بلغتها إذ لم يكن تجانسها في دينها.³

¹ ينظر: عابدة العظم، جدي علي طنطاوي كما عرفته، ص170.

² ينظر: عابدة العظم، جدي علي طنطاوي كما عرفته، ص171.

³ ينظر : محمد كرد علي، خطط الشام، 117/3.

ويقول محمد كرد علي في كتابه خطط الشّام أنّهم: "أخذوا يحيون كلّ ما هو تركي ويحاذرون من كل ما هو عربي"¹

وتولّى بعد الحكم السّلطان عبد الحميد، أخوه (محمد رشاد الخامس)، والذي كان حكمه ظاهرياً، حيث كان الحكم بيد الاتّحاديّين حتّى سيطرت الدول العالميّة عليها وقامت بمصادرة كل ما هو عثماني، وقسمت ممتلكاتها عليها .

ولم يكن الوضع السياسي في ذلك الوقت مستقرّاً، فقد ثارت اليمن سنة 1329هـ، وأرسلت الدولة جيشاً عظيماً على صنعاء والعسير، راح فيها من أبناء الشّام ألوف، كما كانت تدفن ألوفاً من أبنائها في تلك الولاية القاصية.²

وعندما نشبت حرب طرابلس بين العثمانيّة وإيطاليا، جاءت إيطاليا بأسطولها إلى سواحل طرابلس وبرقة بدون مسوّغ، وقامت بضرب سفينتين كانتا راسيتين في ميناء بيروت فهلك من أهل المدينة والجند زهاء مائتي نسمة، وأرسلت الشّام جنداً ومعونات نقدية إلى طرابلس وكانت آخر ما بقي للعثمانيين من الولايات في برّ إفريقيا.³

ولم يعقد الصلح بين العثمانيّة والإيطاليّة حتّى أعلنت دول البلقان⁴ الحرب على الدولة العثمانية فغلبتها، ثمّ عقدت الهدنة بينهم عام 1912م، ثمّ عاد النزاع بينهم وانتهى بسقوط الصدر الأعظم كامل باشا، وقتل ناظم باشا ناظر الحربيّة بيد أنور بك من ضباط الاتّحاديّين ودعاة الدستور في الروم ايّلي، وأخذ الاتحاديون يتولون أزمة الأمر، وقبض أنور بك على عنان الحكومة.⁵

¹ محمد كرد علي، خطط الشّام، 118/3.

² ينظر: محمد كرد علي، خطط الشّام، 126/3.

³ ينظر: محمد كرد علي، خطط الشّام، 126/3.

⁴ ودول البلقان هي: بلغاريا والصّرب والجبل الأسود واليونان .

⁵ ينظر: محمد كرد علي، خطط الشّام، 126/3.

ثم استؤنفت الحرب بين الاتحاديين من البلقانيين، وزحف العثمانيون إلى أدرنة فاستعادوها إلى الملك العثماني، ولم يبق للدولة في أرض أوربا غير ولاية أدرنة وما إليها من ضواحي، وعادت الحرب بين العثمانيين والبلقانيين في تشرين الثاني عام 1912م، وعقد الصلح في أيلول 1913م، فقدت فيها العثمانية مئة ألف جندي بين قتيل وجريح، وثمانين مليون ليرة ثمن الذخائر والسلاح، وخرجت من الروم ايلي وكانت قد صرفت في فتحه خمسين نسمة وحكمته خمسمائة سنة.¹

وفي عام 1913م أخذ جماعة من العرب يطالبون الدولة بعدة أمور منها : توسيع سلطة المجالس العمومية، وتعيين مستشارين أجانب، وأن تعتبر اللغة العربية في مجلس النواب العثماني، وتكون لغة رسمية في الولايات العربية، وأن تجعل الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية، وقد طبق الاتحاديون بعض هذه المواد، فأصبحت مركز بعض الألية والولايات في الشام مدارس تجهيزية تدرس العلوم بالعربية، ووضعت الصيغ العربية إلى جانب الصيغ التركية في أوراق الجلب إلى المحاكم، وعينت بعض رجال الشام في وظائف كبرى في العاصمة.²

وما ان خرجت الدولة من حرب طرابلس والبلقان واليمن وكردستان وبدأت بجمع شتاتها، حتى قتل ولي عهد النمسا³ واندلعت الحرب العالمية الأولى، ووقفت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا والنمسا والمجر مخالفة لهم على بريطانيا العظمى وروسيا وفرنسا وغيرهن من الدول، وكان ذلك بتزيين الاتحاديين، وفي مقدمتهم طلعت باشا وأنور باشا وجمال باشا.⁴

¹ ينظر : محمد كرد علي، خطط الشام، 127/3.

² ينظر : محمد كرد علي، خطط الشام، 128/3.

³ وهو: فرانز فرديناند (1863-1914م)، ولد في شمال النمسا، التحق بالقوات المسلحة في سن مبكر، وترقى إلى المناصب العليا، ثم منح رتبة الجنرال مع بلوغه الواحد وثلاثين، وبعد وفاة والده الذي كان ولياً للعهد عام 1889م، بدأ إعدادة لتولي العرش، الذي انتهى باغتياله وزوجته عام 1914م وكان سبباً لاندلاع الحرب العالمية الأولى. سيد الخضر، مقال بعنوان : الأمير فرديناند .. قصة الثأر الذي أشعل الحرب العالمية الأولى، الجزيرة نت، 2018م. الأمير-فرديناند -قصة-الثأر-الذي-

أشعل <https://www.a;Jazeera.net/news/13/11/2018/>

⁴ ينظر : محمد كرد علي، خطط الشام، 131/3

ودخلت الدولة الحرب، وقاتل أبناء الشّام في الجبهات الحربية المختلفة، وقاست الشّام أنواع الحرمان والأمراض، فهلك منها ولا سيّما في لبنان من الجوع فقط نحو 120 ألفاً، ومثل هذا العدد هلك بالحميات، ولا يقل الهالكون من أبناء الشّام عن ثلاثمئة ألف إنسان مدّة أربع سنين.¹ والحقّ أنّه لم تقع حرب جدية في الشّام ؛ إلّا أن آثارها وصلت إليهم كما قال الشيخ الطنطاوي، وكان أبنائه يساقون كسائر العثمانيين إلى الجبهات الأخرى . والجبهة الوحيدة التي كانت بجوار الشّام هي جبهة الإسماعيلية .

ولم تنتشب الحرب حتّى ندب الاتّحاديون أحد كبار رجالهم هو أحمد جمال باشا ناظر البحرية العثمانية إذ ذاك قائداً على الجيش الرابع، وكانت منطقتة تمتد من أقاصي حدود أذنة إلى المدينة المنورة، أخذ يخصّ أعماله بمشاعلة البريطانيين في حدود مصر ليضطروا إلى وضع قوّة مهمة في جيشهم في ترعة السويس، تخفف عن الدولة جناح قلعة من جيش الحلفاء وعن عاتق الألمان في الجبهة الغربية بين الحدود الألمانية والفرنسية، وهذا تدبير ألماني صرف، وقد نجح بمشاعلة البريطانيين وإشغال أذهان قوادهم، فوضعوا على التربة وفي حدود سينا جيشاً عرمرماً اتقاء جيوش الترك والألمان.²

وأعلن جمال باشا على رؤوس من الأشهاد قبل سفر القطار من الأستانة، أنّه عقد النية أنه لا يرجع إلى الأستانة قبل افتتاح مصر.³

ثمّ جاء جمال باشا إلى الشّام وقبض على زمام القوّة وأكثر الأحكام فيها، وبدأ يهيئ بواسطة الألمان حملة على التربة، قطع فيها الجيش الصحراء التي تبلغ ثلاثمئة كيلومتر، واستطاع كشف القسم الواقع بين بحيرة التمساح وبحيرة المالحة من القناة، كما وهجم قسم من المفززات بواسطة الجسور العوامة إلى الساحل المقابل بالحراب على البريطانيين، وأغرقت المدافع المنبعثة من ست طرادات إنكليزية الجسور العوامة، وقبضوا على من جازوا الساحل الآخر من الجند

¹ ينظر : محمد كرد علي، خطط الشّام، 133/3.

² ينظر : محمد كرد علي، خطط الشّام، 133/3

³ ينظر : المصدر نفسه .

العثماني وكان أكثرهم من أبناء الشّام، وقتل في معركة الإسماعيلية بتقدير جمال باشا 192 قتيلاً و381 جريحاً و727 بين أسير وجريح.¹

وعاد العثمانيون أدراجهم زاعمين أنّهم يستطيعون إن أرادوا بجسورهم العوامة أن يقطعوا التربة إلى الشق الآخر ويستولوا على مصر. وكان الجيش البريطاني الذي هاجمه الترك على التربة جيشاً قوياً مؤلف من جبهات عديدة من مختلف الدول، منهم جنود وعمال مصريون قدر عددهم بمليون استخدموا في خدم ثانوية أفادوا بها الجيش البريطاني فائدة عظيمة.

وما إن أخذ الأتراك بإطالة الأموال وصرفها على السكك الحديدية، كان البريطانيون بعد تلك الحملة العثمانية الفاشلة يتقدمون نحو الشام، ويمدون الخطوط الحديدية في الرمال تحت حماية مدافعهم، وما زالوا يسارعون في تمديد خطوطهم في الصحراء حتّى اقتربوا من العريش فلم يتقدموا خطوة إلا بحسب طريقتهم المعروفة في فتوحهم المعروفة أي بقدر مرمى المدافع، ريثما تتم الخطوط الحديدية تؤمن السبل.²

وانتهت هذه الحملة بانسحاب العثمانيين بعد فشلهم الذريع لهذه الحملة التي أغضبت جمال باشا الذي كان مسؤولاً عنها، فقام على إثرها باستبدال الكتائب العربية في بلاد الشام بكتائب غالبية جندها من الأتراك، وفصل ضباط العرب البارزين من وظائفهم وإرسالهم إلى مناطق بعيدة، واغتيال الزعماء الوطنيين والمفكرين العرب والتكيل بهم حتّى الموت !

وشهدت الشام أيام السفرليك³ (1914-1918م) التجنيد الإجباري لأهالي الشّام، فقاموا بمطاردة الفلاحين وأهل القطعان والصبيان الذين اقتربوا من سن الرشد، ولقد رأى الشيخ علي الطنطاوي

¹ ينظر : محمد كرد علي، خطط الشام، 134/3.

² ينظر : محمد كرد علي، خطط الشام، 134/3.

³ سفر وتعني : السفر بالعربية، وبرلك تعني : معاً، وبذلك يصبح معناها السفر جماعةً بغرض الاستعداد للحرب . والسفربرلك بالتركية تعني : النفي العام والتأهب للحرب، وهو فرمان السلطان العثماني محمد رشاد الخامس سنة 1914م، في شهر شباط، فقد أعلن ذلك بعنوان : "الجهاد المقدّس"، وتم تنظيمه يوم الثالث من آب 1914م، عندما أعلنت الدولة العثمانية دخولها الحرب العالمية إلى جانب ألمانيا . ينظر : معجم المعاني - قاموس عربي-تركي . محمد طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص 545 .

مشاهد الجنود وهم يجمعون الشباب من بيوتهم قسرًا لأداء الخدمة العسكرية، وقد كان كثير منهم يذهب للخدمة ولا يعود مما أثار الخوف بين أهالي الشام، كما ورأى الشيخ المجاعة التي وقعت آنذاك في الحرب العالمية والتي أدت إلى وفاة أعداد كبيرة من السكان بسبب النقص الحاد في الإمدادات .

وبعد التراجع الواضح في الجيش العثماني أخذت كل من فرنسا وبريطانيا بعقد اتفاقية سرية عرفت باتفاقية (ساكس بيكو)¹ لتقسيم نفوذ الدولة العثمانية، ثم دخل الشريف حسين شريف مكة بتحالف مع بريطانيا وفرنسا للقضاء على الدولة العثمانية، ثم قامت بعدة حملات ضد الدولة العثمانية انتهت بانهزام الدولة العثمانية وسقوطها، فقامت الدول العالمية على إثرها بتقسيم ممتلكاتها كما اتفق سابقًا، ونتيجة ذلك فقد وقعت الشام تحت الاحتلال الفرنسي، واستيقظت الشام على خبر انتهاء حكم العثمانيين وتسليمها للفرنسيين، وبهذا فقد بدأ عهد الشام تحت احتلال ووطأة الفرنسيين.

ثانيًا: الاحتلال الفرنسي للشام:

بدأ الاحتلال الفرنسي للشام بقيادة الجنرال غور وبعد أن تقاسمت الدول العالمية أملاك بني عثمان، وقد جاء غور وبحكم مستقل، وكان يدّعي هو وبريطانيا التي احتلت جزءًا آخر من الدول العربية بأنّ هذا الاحتلال إنّما هو لتحرير الشعوب التي رزحت قرونًا طوالاً تحت مظالم الترك، وأنها ستقيم حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالي الوطنيين لها اختيارًا حرًا، وأن ليس غرضها أن يتنازل الأهالي عن هذه المناطق على الحكم، وأنّ همها الوحيد أن يتحقق بمعاونتها ومساعدتها المفيدة عمل هذه الحكومات والإدارات التي يختارها الأهليون من أنفسهم، وأن تضمن عدلًا يساوي الجميع، وتسهّل عليهم ترقية الأمور الاقتصادية وذلك بإحياء

¹ أطلق عليها اتفاقية (ساكس بيكو) نسبةً لممثليها من بريطانيا (مارك ساكس) ، ومن فرنسا (جورج بيكو) السكرتير في السفارة الفرنسية في لندن، والذي تمّ بموجبها تقسيم الولايات العربية التي كانت تحت سيطرة الدولة العثمانية بين بريطانيا وفرنسا . ينظر: فوّاز طرابلسي، ساكس بيكو-بلغور ما وراء الخرائط، ص 115-117.

مواهب الأهالي الوطنيين ، وتشجيعهم على نشر العلم، ووضع حدّ للخلاف القديم الذي قضت به السياسة التركية.¹

إلا أنّ هذا الحكم على خلاف كلّ الوعود، كان حكماً مليئاً بالقتل، والسجون، والضحايا، والحرب، والقنابل، وقصف الطائرات، وخسارة كبيرة لسمعة فرنسا وعلاقتها التاريخية بسوريا.²

ولا بدّ أن نذكر بأنّ الاحتلال الفرنسي لسوريا بدأ باحتلال الساحل السوري واللبناني الذي عرف باسم (سوريّة الغربيّة)، في حين كانت (سوريّة الشريّة) خاضعة لحكم الملك فيصل، على أنّ فرنسا كانت تسعى لاحتلال سوريا بالكامل حسب الاتفاقية التي عقدها مع بريطانيا .

وبعد توقيع معاهدة (سيفر) التي صدّقت عليها الدولة العثمانيّة، وضعت سوريا كاملاً تحت الانتداب الفرنسي، واستقبل السوريون الخبر بمظاهرات كبيرة أدت إلى تشكيل حكومة جديدة، وقررت هذه الحكومة تنظيم التعبئة العامة والبدء بتمويل الجيش، في هذا الوقت كان الحكم في سوريا ملكياً دستورياً تحت حكم الفيصل بن الحسين، وكان هاشم الأتاسي³ رئيساً للحكومة، واختار الضابط يوسف العظمة وزيراً للحربية . فوجئ السوريون بالقوّة الفرنسية تنتشر على الحدود الشرقية والغربية لسوريا، أرسل الجنرال هنري (غورو)⁴ إنذاراً إلى الملك فيصل مرفقاً بكتاب حدّد فيه مطالب الفرنسيين وأبرزها : قبول الحكومة السوريّة انتداب فرنسا على سوريا،

¹ ينظر : محمد كرد علي، خطط الشام، 162/3.

² ينظر : علي سلطان، تاريخ سوريّة 1918-1920 -حكم فيصل بن الحسين، ص405.

³ هو: هاشم بن خالد بن محمد بن عبد الستار الأتاسي (1875-1960م)، زعيم وطني، ولد وتعلّم في حمص، ترأس جمهورية سوريا ثلاث مرّات، وحدثت في أيامه معركة ميسلون، اعتقل في أواخر الثورة السورية عام 1926م عند الفرنسيين، وترأس الكتلة الوطنية عام 1928م، وكان رئيس الوفد السوري في باريس للمفاوضة باستقلال سوريا عام 1936م، وكان آخر حكم له بعد إخراج الشيشكلي ولكنه لم يطل، فاعتكف بداره بحمص إلى أن توفي، وقد عرف طيلة حياته بالسيرة النقيّة وبالنزاهة والإخلاص .ينظر : خيرالدين الزركلي، الأعلام، 65/8.

⁴ هو: هنري جوزيف أوجين غورو(1876-1946م)، اشتهر كونه القائد الفرنسي الذي واجه الجيش العثماني في أواخر الحرب العالميّة الأولى، وأتته المنسوب السامي الذي احتلّ سوريا وأعلن عام 1920م فصل لبنان وإعلان دولة لبنان الكبير . ينظر : مقال بعنوان : (غورو-قصة الجنرال الفرنسي الذي أعلن قيام دولة لبنان الكبير)، /غورو-قصة-حياة/politicians/https://nojomy.com/

وحلّ الجيش . جمع الملك أعضاء الحكومة للبتّ في الإنذار فكان ردّ وزير الحربيّة يوسف العظمة بعدم القبول، لكنّ إجماع الأغليبيّة قضى بقبول الإنذار لتجنّب البلاد ويلات حرب غير متكافئة، لكنّ الجنرال غور وفاجأ الجميع بتحريك قوّاته باتجاه العاصمة دمشق لاحتلالها، هنا تأكد الجميع أنّ نيّة فرنسا لا تقف عند حدّ قبول الإنذار والتوافق، وإنّما تتعداها إلى احتلال كامل، فأمر يوسف العظمة قوّاته بوقف الانسحاب وخاض في منطقة ميسلون حرباً غير متكافئة تسعة آلاف جنديّ فرنسيّ مزوّدين بالطائرات، والدبابات، في مواجهة ثلاثة آلاف من المتطوعين السوريين . حارب وزير الدّفاع السوري يوسف العظمة مع جنوده حتى آخر طلقة واستشهد في المعركة¹، وبعد دخوله دمشق أراد الجنرال غور وتأديب السوريين على تصديهم لفرنسا فأعلن تقسيم سوريا إلى خمس دويلات : دولة دمشق، ودولة حلب، ودولة العلويين، ودولة جبل الدروز، ودولة لبنان الكبير، وجعل لكلّ دولة منها علماً وعاصمة وحكومة وبرلماناً وجواز سفر، ولكنّ هذا التقسيم قوبل بالرّفص الشعبي وما لبث إلى أن تحوّل إلى ثورة مسلّحة فهاجم الثوّار الذين تحصنوا في الغوطة قصر العظم، الذي كان مقرّاً للمفوض السامي الفرنسي (موريس ساراي)، واشتبكوا مع حاميته، فأرسل الفرنسيون تعزيزات لقوّاتهم ما لبثت أن حوصرت دباباتها في شوارع دمشق الضيقة ، أمر الجنرال ساراي أمراً للجميع بالانسحاب، وقصف دمشق بالمدفعية والطائرات فدمر أحياءً من دمشق، وقتل أكثر من ألف وخمسمئة مدني، حتّى أطلق الدمشقيون اسم "الحريقة " على أحد أحيائهم الذي كان اسمه قبل حرقه وتدميره (سيدي عامود)، ثمّ أرسلت فرنسا حملة للقضاء على الثوّار بدأتها بغوطة دمشق وهاجمت قريتي المليحة وجرمانا فأحرقت وهدّمت وأعدمت العشرات منهم ثمّ نقلت جثّتهم إلى دمشق، وعرضتها في ساحة المرجة لترويع السوريين فما لبث إلا أن تمددت الثورة في جبل حوران واللاذقيّة ولبنان، ثورة عادت مرّة أخرى على شكل انتفاضة شعبيّة عام 1945 م، قصفت فرنسا على إثرها دمشق بالمدفعية والطائرات مرّة أخرى، حتّى تدخلت بريطانيا لمحاولة وقف هذا العدوان، وفتح مباحثات مع المندوب السامي الفرنسي جورج كاترو مباحثات أفضت إلى نقل السلطات للحكومة السوريّة ثمّ استقلال سوريا الشام عام 1945 م، وفي عام 1946 م بدأت فرنسا بإجلاء قوّاتها عن الأراضي السوريّة .

¹ ينظر: عمر الدقاق، معركة ميسلون، ص104-105.

ثالثاً: فترة الانقلابات والوحدة مع مصر وظهور حزب البعث في السلطة :

انتقلت سوريا بعد الاحتلال الفرنسي لمرحلة أخرى بدأت بثلاثة انقلابات عسكرية، تمكنت البلاد بعدها من استعادة الحياة الديمقراطية فعلياً عام 1954م اثر تنحي أديب الشيشكلي، ثم توحدت مع مصر تحت ما سمي (الجمهورية العربية المتحدة) عام 1958م، بتوقيع ميثاق الجمهورية المتحدة من قبل رئيسي سوريا شكري القوتلي ومصر جمال عبد الناصر، اختير عبد الناصر رئيساً والقاهرة عاصمة للجمهورية الجديدة . وفي عام 1960م تمّ توحيد برلماني البلدين في مجلس الأمة بالقاهرة وألغيت الوزارات الإقليمية لصالح وزارة موحدة في القاهرة أيضاً . أنهيت الوحدة بانقلاب عسكري في دمشق عام 1961م، وأعلنت سوريا عن قيام الجمهورية العربية السورية، بينما احتفظت مصر باسم (الجمهورية العربية المتحدة) حتى عام 1971م عندما سميت باسمها الحالي (جمهورية مصر العربية) .

وفي عام 1964م بدأت احتجاجات في حماة، وكانت هذه أول الاحتجاجات الكبيرة بين القيادة الحديثة لحزب البعث الاشتراكي الذي سيطر على الحكم وبين أنصار الاخوان المسلمين، وقد حصلت هذه الاحتجاجات بعد عام من سيطرة البعث على السلطة، وقمعت بالقوة العسكرية الثقيلة ما أدى إلى سقوط من سبعين إلى مئة شهيد إلى جانب خسائر مادية في حماة القديمة .

ثم حدث انقلاب بسبب تصاعد الصراع على السلطة بين الحرس القديم للحزب ممثلاً بميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار، ومنيف الرزاز والفصائل التي تلتزم بموقف بعثي جديد. أمر أنصار الحرس القديم في الجيش بنقل منافسيهم، وبعد ذلك بيومين، قامت اللجنة العسكرية مساندة الفصائل الأصغر سنًا بانقلاب شمل قتلاً عنيفاً في حلب ودمشق ودير الزور واللاذقية، ونتيجة للانقلاب فرّ المؤسسون التاريخيون للحزب من البلاد وأمضوا بقية حياتهم في المنفى، وتسبب الانقلاب في انقسام دائم بين الفرعين القطريين السوري والعراقي لحزب البعث والقيادات القومية الخاصة بكل منهم مع فرار العديد من كبار المسؤولين السوريين البعثيين إلى العراق باعتباره إرثاً من الانقلاب، وخلال حكم جديد بدأت سوريا حملة دعائية ضد البعثيين العراقيين، ثم حدث الانقلاب الذي جلب حافظ الأسد إلى السلطة .

تسلّم الأسد الحكم تحت حزب البعث الذي شنّ في تلك الفترة حملة واسعة ضدّ الإسلام والمسلمين مستخدمين في ذلك جميع الوسائل غير المشروعة منها : مؤامرة القنيطرة وتسليم الجولان لإسرائيل في حزيران عام 1976، كما وسلموا أكثر من تسع وثلاثين قرية لإسرائيل عام 1973م، ووصلت القوّات الإسرائيلية إلى مشارق دمشق فيما سميت حرب التحرير، كما وشاركت القوّات السورية في مذبحه تل الزعتر وفي مذابح ومجازر شملت جميع المسلمين في لبنان.¹

وارتكبت مجزرة سجن تدمر التي ذهبت ضحيّتها ما يقارب ألف شاب بين طبيب ومهندس ومدرّس، ومجزرة حلب، وجسر الشغور، والمعرة والرّقة.²

وارتكاب مذبحه حماة سنة 1982م التي ذهب ضحيّتها ما يقارب ثلاثين ألف قتيل، وهدّمت معظم مساجد حماة وأحيائها، هذا وغيرها من المواقف التي حدثت عند اجتياح اليهود لبنان وغيرها مما لم يعرف ويكشف للعالم ظاهره وحقيقته.³

وقد كان الشيخ الطنطاوي في تلك الفترة قد منع من دخول سورياً هو وأهله، خاصّةً بعد استشهاد ابنته بنان التي اغتيلت بسبب انتمائها وزوجها لحركة الاخوان المسلمين .

¹ ينظر : أبو عبدالله الذهبي، ظاهرة حافظ الأسد، ص6.

² المصدر نفسه .

³ ينظر : أبو عبدالله الذهبي، ظاهرة حافظ الأسد، ص6.

المبحث الثاني: التعددية الثقافية اصطلاحاً:

يعدّ التعدد الثقافي أحد المصطلحات الحديثة التي صاحبت النهضة والثورة التكنولوجية بين القرنين العشرين والواحد وعشرين، وتمثل التعددية الثقافية مفهوماً واسعاً يدخل ضمن مفاهيم تطوير المجتمعات التي عملت الدول على فك معادلاتها .

وللتعددية الثقافية معانٍ وتعريفات عدّة، وذلك بحكم تنوّع مجالات التعددية الثقافية، فضلاً عن تعدد زوايا النظر إليها ويمكن توزيع التعريفات على ثلاث زوايا رئيسية :

التعريف الأول ذهب إلى أنّ التعددية الثقافية هي أيديولوجيا، وهو يعني الاعتراف الرسمي بالتباينات الثقافية على أساس كوننا في عالم يتميز بتناقضات جوهرية ما بين ثقافات مجسدة لقيم ومعتقدات وحقائق غاية في التباين، بحيث إنّ الكثير منها غير قابلة للقياس غير أنّها تتميز بكونها مؤثرة وفعالة ضمن نطاق بيئتها، وتبعاً لذلك، فإنّ القائل بهذا التعريف يرى أنّ من العدل ألاّ يحاسب الأفراد على أنّهم متساوون سياسياً وحسب، بل التعامل أيضاً مع معتقداتهم على أنّها معتقدات صائبة متساوية، وأنّ تتم مأسستها في المجال العام¹، لكنّ ذلك يخالف اعتقادنا نحن كمسلمين وقد وضحت كيف احترم الإسلام الأديان الأخرى؛ لكن لا يمكن للتعددية أن تغيّر اعتقادنا وتقرض علينا أن نرى كل الأديان متساوية فهذا ما لا يرضاه الدين ولا الشرع ولا العقل .

والمقصود من هذا التعريف باختصار، أنّ التعددية الثقافية تتمثل بتشكيل مجتمع تكون فيه كافة المجتمعات العرقية و الإثنية والقومية قادرة على أن تكون جزءاً لا ينفصم عن المجتمع بصورة متساوية، دون الحاجة إلى قيامها بالتخلي عن خصائصها وهوياتها المتميزة، مما يستوجب ذلك اقتسام النفوذ والسلطة وصناعة القرار على نحو متساو في المجتمع المتعدد الثقافات بدلاً من الاستئثار بالسلطة والقرار من لدن جماعة ثقافية بعينها وأن يتم الإقرار بقيمة وتمايز كل جماعة منتمية إلى هذا المجتمع أسوة بإقرار الأمر ذاته على الصعيد الفردي.²

وبالرغم من كون التعددية الثقافية تشمل ذلك، فإنها ليست بأيديولوجيا، إذ إنّ الأخيرة هي نسق من الأفكار والمعتقدات المترابطة والمنظمة التي تصبّ تركيزها في موضوع الدولة خصوصاً .

¹ ينظر: حسام الدين مجيد، إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر جدلية الاندماج والتنوع، ص43.

² حسام الدين مجيد، إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر جدلية الاندماج والتنوع، ص43-44

غير أنها توظف في تبرير ما هو كائن، أوفي نقده بدلالة صورة مثالية عمّا يجب أن يكون عليه الوضع .

وتبعًا لذلك تستخدم الأيديولوجيا من أجل غايات تتجاوز إطار النظرية السياسية، وخصوصًا حينما يتخذ منها أساسًا فكريًا لتعبئة أتباعها وغيرهم بهدف تحقيق غايات القائمين على أمر هذه الأيديولوجيا أو تلك .

فهي من ثمّ، لا تقبل عادة التشكيك والمراجعة، بينما التعددية الثقافية مع أنها أيضًا (نسق من المعتقدات المترابطة والمنظمة)، إلا أنها قابلة للتشكيك والدحض .

فهي تركز على موضوع الدولة، بحيث تولي اهتمامها تحديدًا لكيفية التعامل مع التنوع الثقافي داخل الدولة، وطبيعة علاقة الدولة بمكوناتها الثقافية، وماهية الأساس أو المرجعية الفكرية التي ينبغي الاستناد إليها لتحقيق المعاملة العادلة مع تلك المكونات فهي بإيجاز من قبيل النظريات السياسية لا الأيديولوجيات .

والتعريف الثاني: أن التعددية الثقافية هي تجربة الحياة أي هي تجربة العيش في مجتمع أقل انعزالية وضيقًا في الأفق، والمقصود أن يكون المجتمع مجتمعًا تعدديًا ومتسامحًا فكريًا ومتنوعًا في تكويناته ثقافيًا واجتماعيًا، بحيث يغدو الموقف من شتى العلاقات موقفًا منفتحًا وإيجابيًا، يشتمل احترام الناس واعطائهم التقدير والاحترام من خلال الاعتراف بحقوقهم في اختيار طريقة الحياة التي يريدونها.¹

والتعريف الثالث: يشير إلى أنّ التعددية الثقافية هي سياسة عامة معنية بتلبية احتياجات الجماعات الثقافية على صعيد التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية. فهي على صعيد التعليم تولي الاهتمام للتنوع الثقافي، وتسعى إلى تعزيز المساواة بين مختلف الممارسات الثقافية، وعلى صعيد الصحة والخدمات الاجتماعية تسعى إلى تعيين الاحتياجات الخاصة لجماعات ثقافية

¹ ينظر: حسام الدين مجيد، إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر جدلية الاندماج والتنوع،

معيّنة والعمل على تليبيتها . وبالتالي فإنّ التعدديّة الثقافيّة (مجموعة من السياسات التي تصاغ تحديداً من أجل مساعدة الأقليات الثقافيّة مادياً ومعنوياً¹ .

وقد نرى بأنّ التعريف الأقرب للتعدد الثقافي هو أنّه " عملية تعايش عدد مختلف من الثقافات مع بعضها البعض في المجتمع ذاته بطريقة تجعل كل طرف يحترم ثقافة الآخر ويقدرها، ويرجع هذا التقدير إلى تعريف الثقافة نفسها الذي يتفق العاملون في حقله على أنّه مجموعة العادات والتقاليد والممارسات المجتمعيّة، بما فيها تفاصيل استخدام اللّغة التي يتحلّى بها أفراد مجتمع معيّن، لتصبح بمثابة سمات مميّزة لهم، باعتبار الإنسان أساساً للتنمية المستدامة التي تعمل عليها الدول والحكومات جميعاً² ."

وتكمن أهميّة التعدد الثقافي في احتياج الناس إلى العيش معاً وفق مفاهيم متقدّمة تجعل الحياة أفضل وأرقى، وهي الممارسات التي تحيل السّلام بدلاً من الحروب، وهو ما يسعى إليه المجتمع الإنساني، إذن فإنّ أهمية ممارسة التعدد الثقافي تكمن من خلال الاعتراف بتغيير أشكال التعبير الإنساني في حياة كلّ فرد من التسليم بأنّ الحياة مشاركة تعنى بالممارسة الحياتيّة وثقافة الفرد.³

كما أنّ التعدد الثقافي يلعب دوراً مهمّاً على صعيد تطوّر أفراد المجتمع نفسياً واجتماعياً، كما أنّ العادات والتقاليد التي تتناقلها الأجيال تعكس مجموعة من الخبرات المتنوّعة في مختلف المجالات، ففي المجتمعات ذات التعدديّة الثقافيّة يتحقق مستوى أكبر من التشارك والاتّصال، ما يزيد لحة المجتمع وتماسكه ونتاجيّه وجودتها ؛ نتيجة لشعور أفرادها جميعاً بالخصوصيّة والاحترام⁴

¹ حسام الدين مجيد، إشكالية التعدديّة الثقافيّة في الفكر السياسي المعاصر جدليّة الاندماج والتنوع، ص 45-46.

² شيخة الكربي، مقال بعنوان التعدد الثقافي. <https://www.zhic.gov.ae/articles/multiculturalism>.

³ ينظر : شيخة الكربي، مقال بعنوان التعدد الثقافي

<https://www.zhic.gov.ae/articles/multiculturalism>.

⁴ ينظر : شيخة الكربي، مقال بعنوان التعدد الثقافي

<https://www.zhic.gov.ae/articles/multiculturalism>.

الفصل الأول

سيرة الشيخ علي الطنطاوي

أولاً-اسمه وكنيته ونسبته ومولده.

-اسمه : هو عليّ بن مصطفى بن أحمد بن علي بن مصطفى الطنطاوي¹، وأطلق عليه اسم (محمد علي) وهو اسم مركّب على عادة أهل الشام (حيث يقدّمون اسم الرسول، صلى الله عليه وسلم، على اسم الابن البكر، إن سمّاه أبوه باسم آخر غير اسم محمد، لأي سبب من الأسباب، فيقدّمون على الاسم الرسمي اسم محمد، تيمناً وتبريكاً باسم النبي، صلى الله عليه وسلم).

-أمّا كنيته فله كنيّتان هما : الأولى : أبو الهيثم، وأطلق على أول كتاب ألفه الهيثميّات وكان يمضي توقيعاته بأبي الهيثم، أملاً بأن يرزقه الله، سبحانه وتعالى بولدٍ يسميه "هيثم" فتصبح كنيته حقيقة لا أمنية .

والثانية : هي أبوعنان، ولها قصّة قال بأنه كان لديه فيها بقايا من الجاهلية²، والقصّة هي أن الشيخ كان يرغب ويحبّ أن يرزق بولد، فانتظر قدومه طويلاً، لكنّه لم يرزق إلاّ بالبنيات وكان يقول أنا من الصنف الأول استدلالاً بقوله تعالى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ

¹ علي الطنطاوي، ذكريات 1/ 30 .

² عابدة العظم، جدّي علي طنطاوي كما عرفته، ص 139.

يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ¹، ولَمَّا كَانَ يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ -: " فِيهِ بَقِيَّةٌ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ " أَطْلَقَ عَلَى اسْمِ ابْنَتِهِ الْأُولَى (عَنَّان) اسْتِحْيَاءً مِنَ الْبَنَاتِ لِأَنَّهُ اسْمٌ يَجُوزُ لِلْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ، فَكُنِيَّتُهُ الثَّانِيَّةُ إِذْنُ هِيَ: أَبُو عَنَّان . وَالْكُنْيَةُ الصَّحِيحَةُ وَالْحَقِيقِيَّةُ، وَالشَّائِعَةُ .

-نسبته : والطنطاوي نسبةً إلى طنطا بمصر، وكانت تدعى طننتا وهي موطن أجداده، فقد نزح جدّه إلى دمشق سنة 1255 هـ برفقه عمّه، وكان عمّه عالماً أزهرياً جدد بعلمه عناية أهل الشام بالعلوم العقلية ولا سيما الفلك والرياضيات، وهو محمد بن مصطفى، الطنطاوي مولداً، الدمشقي موطناً، الشافعي مذهباً، كان فقيهاً عالماً بالعربية والفلسفة والعلوم، ومن آثاره (البسيط)، وهو آلة فلكية الموضوع في منارة العروس بالجامع الأموي .² هذا عمّ جدّه، أمّا والد جدّه فاسمه علي، وسمي باسمه الشيخ علي الطنطاوي، ولا يذكر عنه شيئاً ذا بال فيقول: " لا أعرف عنه إلا أطراف أخبارٍ لم أستقصيها ولم أتحققها، منها والله أعلم، أنه كان في جيش إبراهيم باشا³، ويذكر أنه كان يتاجر في القماش فكان إذا ما جاءت امرأته فكشفت وجهها لترى القماش أومدت يدها لتلمسه زجرها وأمرها بالستر، فتركه النساء فاضطرّ إلى ترك الدكان وعاد إلى مصر .⁴

أمّا جدّه الأدنى (والد أبيه) الذي جاء من مصر برفقة عمه الشيخ محمد فهو (أحمد بن علي بن مصطفى) وقد كان إمام الطابور ومتقاعداً في الجيش العثماني، ووصفه الشيخ في ذكرياته بأنه كان نظامياً حريصاً على الترتيب، فكانت حياته كحياة تلميذٍ في مدرسةٍ داخلية، كل حركةٍ فيها بحساب وكل عملٍ له وقت .⁵

-مولده : ولد الشيخ علي الطنطاوي في حيّ العقيبة بدمشق، فجر يوم الجمعة في الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة 1327 هـ .⁶

¹ الشورى، 42/49-50

² ينظر :مجاهد ديرانية، علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء ص9./ ينظر: علي الطنطاوي، الذكريات، 181/1، 182

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 1/177

⁴ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 1/115

⁵ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 1/143.

⁶ علي الطنطاوي، ذكريات، 1/174

ثانياً- عائلة الطنطاوي.

-والده : أمّا والده فهو "الشيخ مصطفى بن أحمد بن علي بن مصطفى الطنطاوي" ¹، ولد بدمشق سنة 1297هـ ونشأ فيها وتعلّم، و كان من العلماء المعدودين في الشام ²، وتوفي سنة 1343هـ عن ست وأربعين سنة" ³.

عمل والده الشيخ مصطفى مديراً عاماً للمدرسة التجارية بدمشق، التي درس فيها ابنه "محمد علي" علومه الأولى ⁴. ثمّ ترك الشيخ الطنطاوي إدارة المدرسة التجارية ليعمل في الإفتاء وتدرّج في وظيفته حتّى أصبح " أمين الفتوى " عند المفتي الشيخ أبي خير العابدين ⁵.

وكان الشيخ مصطفى من صدور الفقهاء ومن الطبقة الأولى من المدرسين والمعلمين ⁶ ويقول عنه الشيخ أنّه كان معلماً عبقرياً يفهم الغبيّ من تلاميذه حتّى يظنّ نفسه أدكى الأذكىاء، ويبسّط المعقّد حتى يصبح من الهيئات الواضحات ⁷.

وكان والد الشيخ الطنطاوي أيضاً إمام جامع رستم في حيّ العقيبة في دمشق وقد خلفه الشيخ في الإمامة بعد وفاته ⁸.

وتوفي وابنه "محمد علي" في بداية عمره، وهو بأمسّ الحاجة إلى رعايته وتوجيهه، إذ كان عمره (16) سنة، وقد وصف جنازة والده التي تأثر بها، فقال :

" تجمّع الناس يوم وفاة والدي وامتأّ الناس بأربعة أميال من الصالحية إلى المقبرة، ما كان من رجال السياسة ولا من أهل الرياسة ولا من ذوي السلطان والجاه ولا من الأكابر والأعيان، ولا من

¹ علي الطنطاوي، الذكريات، 44/1.

² مجاهد ديرانية، علي الطنطاوي فقيه الأدباء وأديب الفقهاء، ص10.

³ محمود العمراني، الشيخ علي الطنطاوي قاضياً، ص16 .

⁴ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 44/1، 45

⁵ أبو خير العابدين : هو والد الشيخ أبي اليسر العابدين مفتي الشام الطبيب الذي نال شهادة الطّب على كبر ثمّ صار أستاذاً في كليّة الحقوق (كانت تدعى معهد الحقوق) وكانت هي وكلية الطب نواة جامعة دمشق/علي الطنطاوي، ذكريات، 58/1.

⁶ علي الطنطاوي، ذكريات، 99/ 2.

⁷ علي الطنطاوي ذكريات، 247/1.

⁸ محمود العمراني، الشيخ علي الطنطاوي قاضياً، ص16.

الأدباء والخطباء، وما كان إلا عالماً ومعلماً، ولكنها محبةً وضعها الله في قلوب الناس، وما كنت أعلم أنّ له في قلوبهم هذه المحبة حتى مات".¹

-والدته : هي رقيقة بنت الشيخ أبي الفتح الخطيب، شقيقة الأستاذ محب الدين الخطيب² (العالم المحقق لكثير من كتب التراث .³ كانت امرأةً صالحه، ومثالاً عالياً للمرأة المسلمة الرّاضية عن الله الصابرة على ما قضاه، جمعت بين الخلق والنسب⁴، فأسرتها هي إحدى الأسر العلمية في الشام وذكر الشيخ ما حدّثه خاله محب الدين الخطيب عن أصل أسرتهم، أن أصلها من بغداد، ثمّ نزلت حماة، ونزح فرع منها إلى قرية عذراء (عدرا) التي ذكرها ياقوت في معجم البلدان فقال: " إذا انحدرت من ثنية العقاب وأشرفت على الغوطة رأيتها أول قرية تلي الجبل"، وثنية العقاب هي التي أصبحت تدعى الثنايا أو التنايا، تمرّ بها حين تعلو في الجبل (جبل لبنان الشرقي) متوجّهًا إلى حمص.⁵

-إخوته :لدى الشيخ أختان وثلاثة من الإخوان، تحمّل الشيخ مسؤوليتهم عند وفاة والده ورغم تحمّل والدته العبء الأكبر إلا أنّها تركت للشيخ أمر دراسة إخوته وتوجيههم له، فكان عليه أن يتكسّب قبل فوات الأوان فعمل محاسباً وتاجرًا صحفياً ولم يكلف إخوته المشاركة في هذا⁶ بل تركهم لدراستهم، وكان من توفيق الله أن صار أخوه الأول ناجي قاضياً والثاني عبد الغني أستاذاً كبيراً في جامعة أم القرى وأول من حمل لقب دكتور في الرياضيات في سوريا، والثالث محمد سعيد حصل على شهادة جامعية في الفيزياء وكان مدرّساً موقّفاً وداعيةً وأديباً .

¹ علي الطنطاوي، الذكريات، 231/1.

² وهو: محب الدين بن أبي الفتح محمد ابن عبد القادر الجيلاني الحسني، من كبار الكتّاب، ولد في دمشق، وتعلّم بها و بالأستانة وشارك سنة 1324هـ في إنشاء جمعية بدمشق سمّيت (النهضة العربيّة)، وهو صاحب مجلتي (الزهراء والفتح) ومن أوائل مؤسسي جمعية لشبان المسلمين، ومنشئ المطبعة السلفيّة ومكنتبتها ومشرف على نشر عدد كبير من كتب التراث . ينظر : خير الدين الزركلي، الأعلام، 282/5.

³ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات 1 / 229

⁴ علي الطنطاوي، الذكريات، 259/1 .

⁵ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 259/1.

⁶ ينظر :الشيخ علي الطنطاوي قاضياً، ص21-22

ثالثاً-أسرة الطنطاوي.

تزوج الشيخ الطنطاوي من " عائدة الخطيب" وهو في أول الثلاثينيات، عام 1940م¹ وقد تأخر في زواجه بسبب ضيق حال اليد، ورزق منها الشيخ بخمس من البنات كما أسلفنا، أحبهنّ ورضي بهن بعدما يئس من قدوم الولد، وورثت بناته حبّ العلم عن والدهم وصار منهنّ المعلمات والمحاضرات، وورثنّ ذلك لأحفاد الشيخ فنجد العديد من أحفاده من بذل جهداً كبيراً لإخراج كتب الشيخ وترجمة حياته، وذكر فضائله ومحاسنه وأساليبه التربويّة والإرشاديّة مثل كتاب : (هكذا ربّانا جدي علي طنطاوي) لحفيده عابدة مؤيد العظم، وكتاب (علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء) لحفيده مجاهد مأمون ديرانية.

وبناته هنّ : عنان وبيان وبنان وأمان ويمان .

عنان الطنطاوي: وهي البنت الكبرى للشيخ الطنطاوي، تزوجت من رجل سوري يدعى "مأمون ديرانية"، ورزقت منه بאתنين من الأبناء وهما: الكاتب والمترجم والمحقق الأردني من أصل سوري " مجاهد ديرانية، والدكتور الاستشاري مؤمن ديرانية .

بنان الطنطاوي: "أم أيمن"، البنت الثانية للشيخ، ولدت عام 1364هـ في دمشق في بيت علم ودين وصلاح، وتتلذت على والدها وعلى زوجها عصام العطار الذي تزوجها عام 1377هـ، فشاركته في ضرائه، ومنعت مع زوجها من دخول سورية عام 1964م، ولم يسمح لها بدخول البلاد إلاّ مرتين، ثمّ عاد المنع، واستقرت مع زوجها في آخن بألمانيا داعيةً إلى الإسلام مع زوجها إلى أن اغتيلت في مدينة آخن في ألمانيا عام 1401هـ ودفنت بها، ولها العديد من الخطب والدروس جمعت في كتيبات² . وتركت من الأبناء أيمن وهادية .

بيان الطنطاوي: ولدت السيّدة بيان الطنطاوي في دمشق سنة 1946 م، وهي البنت الثالثة للشيخ تزوجت من قريب لها وهي صغيرة في السن وكان يكبرها بأعوامٍ عديدة، رزقت منه بثلاثٍ من البنات ثمّ انفصلت عن والدهنّ، وعادت إلى مقاعد الدراسة، حصلت على الشّهادة الإعدادية ثمّ الثانوية والتحقّت بالجامعة السورية في كلية الآداب، وتخرجت من قسم اللغة العربية وآدابها . ثمّ

¹ ينظر : عابدة العظم، جدي علي طنطاوي كما عرفته، ص192.

² أحمد العلوانة، ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ص52.

حصلت على دبلوم التأهيل التربوي وعلى دبلوم الدراسات العليا، وتابعت للحصول على ماجستير مناهج وأصول التدريس، لكنّ اغتيال أختها الشهيدة بنان في ألمانيا اضطرها لمغادرة دمشق بعد استشهادها بثلاثة أيام!¹

ثمّ غادرت إلى السعودية، وعيّنت بوظيفة محاضر في جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ودرّست في قسمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية .

ثمّ عادت إلى مقاعد الدراسة للمرة الثالثة، وحصلت على ماجستير عام 2011 في التفسير في الجامعة الإسلامية العالمية في كوالالمبور / ماليزيا، وحصلت على رسالة الدكتوراه في ماليزيا أيضاً عام 2019م وعمرها آنذاك 73 عاماً، ولها نشاطات عدة منها المشاركة في الرئاسة العامة لتعليم البنات في جدة بدورات نظامية وإقامة دورات وندوات تعليمية في بلدان عدّة وكتابة مقالات وإجراء المقابلات كان آخرها مقابلة بعنوان (علي الطنطاوي من الداخل) بثّت في بودكاست جولان على مواقع التواصل الاجتماعي، وهي صاحبة برنامج (بينات) الذي أذيع على التلفاز على قناة اقرأ الفضائية، وكان يتحدّث عن والدها الشيخ علي الطنطاوي، و فضائله وأساليبه التربوية .

أمان الطنطاوي: البنت الرابعة للشيخ تزوجت من الرجل السوري " زياد الطباع " رزقت منه ببنتين وبنات ولديها ابن استشهد في الأحداث السورية على أرض الشام، وهو الشهيد : " طارق زياد الطباع "، وهي أديبة وكاتبة .

يمان الطنطاوي : ولدت في دمشق سنة 1955م وهي البنت الخامسة والصغرى للشيخ، تزوجت من الأستاذ نادر حتاحت (رحمه الله)، حصلت على البكالوريوس في جامعة الملك عبد العزيز، وعيّنت معيدة في قسم الدراسات الإسلامية، وانقطعت للتدريس، ثمّ عادت للدراسة وحصلت على درجة الماجستير بامتياز مع مرتبة الشرف والتوصية بطبع بحثها الذي كان بعنوان (مفردات المذهب الحنفي في الطهارة والصّلاة)، درّست في جامعة الملك عبد العزيز ثماني عشرة سنة مواد كثيرة منها : الفقه، والتفسير، والثقافة الإسلامية بجميع مستوياتها، كما دأبت بانتظام على

¹ ينظر : سناء نصرالله -كوالالمبور ، مقال بعنوان : الدكتوراه في العقد الثامن ..بيان على خطى والدها الشيخ

علي الطنطاوي ، الجزيرة نت .الدكتوراه-في-العقد-الثامن-بيان-على-

خطى/26/8/2019/https://www.aljazeera.net/women

إلقاء الدروس الفقهية الأسبوعية لمجموعات من الشابات غير الجامعيات، بالإضافة إلى محاضرات في هيئة الإغاثة العالمية وسواها من الهيئات والجمعيات .¹

توفيت بحادث سير قريبة من جدة ليلة الجمعة الثامن عشر من شوال سنة 1429 هـ .²

رابعًا : ثقافته :

-طلبه للعلم :

كان مولد الشيخ في بيتٍ أبرز معالمه العناية بالعلم، وتوافد طلبة عليه من كبار مشيخة دمشق، يقول : " منذ وعيتُ على الدنيا وجدتني على صلة بالعلماء وكان من عادة والدي أن يكلفني مناولته الكتاب الذي يحتاج إليه وأراه يلقي دروسه على هؤلاء المشايخ، فأحضرها معهم سواء في البيت أوفي جامع التوبة"³، وإلى جانب ذلك كان الشيخ مطلعاً يقرأ في الكتب في مواضع شتى حتى أنه يقول أنّ المطالعة أعطته مثل ما أعطته الدراسة أو ما يفوق ذلك، جمع الشيخ في علمه الدراسة على المشايخ والدراسة في المدارس وذكر ذلك مفصلاً في مواضع شتى في ذكرياته وكتبه، وقال أنه أول من جمع الطريقتين في التعليم في سوريا .

لم تكن بداية الشيخ في التعليم بداية مزهرة كما يخيل لشخصية أدبية سلكت طريق العلم في مختلف أيام حياتها، بل يتعجب من يقرأ ذكرياته شدة تأثره بأول يوم قضاه في الكتاتيب، وقد وصف سوء ذلك اليوم تفصيلاً وفي أكثر من موضع إلا أنه يقول لم أستطع وصف سوء ما شعرت به ذلك اليوم!، ترك الشيخ الكتاتيب ولم يقض فيه إلا يوماً واحداً، ثم دخل المدرسة التجارية ، ثم المدرسة الجقمقية⁴، ثم مدرسة حكومية أخرى، حتى دخل مكتب عنبر الذي كان الثانوية الكاملة الوحيدة في دمشق حينذاك، ومنه دخل البكالوريا سنة 1928 م وكانت هذه السنوات من أحفل سني حياته .

¹ ينظر: مجد مكي، مقال : الأستاذة يمان بنت علي الطنطاوي، رابطة العلماء السوريين .يمان-علي-
<https://islamsyria.com/ar/الترجم/والناصحة-والمعلمة-والمرشدة-والداعية-المريية-والمعلمة-والناصحة/>

² المصدر نفسه .

³ ينظر: سليمان الخراشي، رحلة في عالم الشيخ علي الطنطاوي، ص9

⁴ مدرسة بناها الأمير المستعرب، المحبّ للعرمان (جقمق)، الملقّب بسيف الدين، وتقع شمال الجامع الأموي في دمشق . ينظر : خير الدين الزركلي، الأعلام، 131/2.

بعد ذلك ذهب إلى مصر ودخل دار العلوم العليا، وكان أول طالب من الشّام يؤمّ مصر للدراسة العالية، ولكنّه لم يتم السنة الأولى، وعاد إلى دمشق في السنة التالية 1929م، فدرس الحقوق في جامعتها حتى نال الليسانس سنة 1933م .

وقد رأى- لمّا كان في مصر في زيارته تلك لها - لجاناً للطلبة لها مشاركة في العمل الشعبي والنضالي، فلمّا عاد إلى الشّام شكّل " اللجنة العليا لطلاب سوريا "، وانتخب رئيساً لها وقادها نحو ثلاث سنين. وكانت لجنة الطلبة هذه بمثابة اللجنة التنفيذية للكتلة الوطنيّة التي كانت تقود النّضال ضدّ الاستعمار الفرنسي للشّام، وهي رأي اللجنة العليا للطلبة، التي كانت تنظّم المظاهرات والاضطرابات وهي التي تولّت إبطال الانتخابات المزوّرة سنة 1931 م.

وحمل الشيخ للمسؤولية مبكراً بعد وفاة والده جعله يتّجه إلى الانشغال بالتجارة وبعده عن الدراسة إلا أن الله أراد له أن يعود إلى صفوف العلم، وعاد بعد ذلك إلى كسب الرزق عن طريق التعليم بالإضافة إلى العمل في الصحافة وبعض الأعمال الأخرى .

- شيوخه وأساتذته، رفاقه وتلاميذه:

لقد كان لنشأة الشيخ العلميّة وبين العلماء وجمعه بين تلقي العلم من الشيوخ والمدرسة سبباً لأن يسمع من خلق كثير، فذكر في كتابه أكثر من أربعين شيخاً استفاد منهم في مختلف الفنون في الشّام ومصر والعراق ثمّ قال " وخلق غيرهم كثير "....¹

ومن أبرز شيوخه وأساتذته في العربيّة والذين تحدّث عنهم في مواقع شتى وأثنى عليهم أشدّ الثناء، هما: الأستاذ سليم الجندي²، والأستاذ عبد القادر مبارك³ وقد قال رحمه الله عنهما بعد

¹ ينظر: محمود العمراني، الشيخ علي الطنطاوي قاضياً، ص31.

² هو: محمد سليم بن محمد تقي الدين (1298-1375هـ)، شاعر وأديب، وله اشتغال في التاريخ، عيّن في ديوان الرسائل وبقي فيه حتّى عام 1924م، ثمّ أستاذاً للأدب العربي، ثمّ مديراً للكلية الشرعيّة، كان يستهوي شعر أبي العلاء ونسج على منواله كثيراً من أشعاره . ينظر : إميل يعقوب، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة، 1023/3.

³ هو: عبد القادر بن محمد بن المبارك (1304-1364هـ)، جزائري الأصل، توفي في دمشق، أديب غزير العلم بمفردات اللغة العربيّة، اشتغل بالتعليم، وكان من أعضاء مجمّع اللّغة العربيّة، وترك بعد العديد من المؤلفات . ينظر : خير الدين الزركلي، الأعلام، 25/4.

وفاتهما : " لقد ماتا وما أعرف تحت قبة الفلك أعلم منهما بالعربية وعلومها، ولقد كانا أشدّ المدرّسين تأثيراً في تكويني اللغوي والأدبي، رحمة الله عليهما وعلى أساتذتنا جميعاً"¹

ومن شيوخه أيضاً: الشيخ بدر الدين الحسني²، والشيخ ابن جعفر الكتّاني، والشيخ محمد كرد علي³، والشيخ زين العابدين التونسي، والشيخ مصطفى تمر، والشيخ هاشم الخطيب، والشيخ عبدالقادر الاسكندراني، والشيخ بهجة البيطار، والشيخ محمد نصيف/ جدّة، والشيخ عبدالله حسن آل شيخ / مكة، والشيخ سليمان الجوخدار، ومن شيوخه في النحو: الشيخ عيد السفرجلاني، وصالح التونسي، وأبو خير الميدياني⁴، وأبو خير القّواس، وشيوخه في التجويد : محمد الحلواني، وعبدالله منجد .

ومن أساتذته في الجامعة:

الدكتور صلاح الدّين الكواكبي ابن الشيخ مسعود الكواكبي، الذي كان عضواً في محكمة التمييز، حضر له الشيخ مجالس لا يحصّيها⁵، والدكتور جميل الخاني، والدكتور محمد محرم رئيس محكمة التمييز على عهد الشّريف فيصل 1919م، حضر الشيخ مع أبيه كثيراً من مجالسه، وكان يدرّس في كليّة الحقوق قبل أن يدخلها، وكان على عهد العثمانيين مفتشاً في القضاء.

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 1/ 118

² هو: محمد بن يوسف بن عبد الرحمن المغربي المراكشي البيباني (1267-1354هـ)، محدث الشام في عصره، ألف نحو أربعين كتاباً، وكان أباً روحياً للثورة على الاحتلال الفرنسي وللثائرين المجاهدين، وتوفي في دمشق . ينظر : خير الدين الزركلي، الأعلام، 157/7-158.

³ هو: محمّد بن عبدالرزاق بن محمد كرد علي (1876-1953م)، مفكّر سوري ومن رجال الفكر والأدب والصّلاح، وأول وزير للمعارف والتربية في سوريا ، مؤسس ورئيس المجمع العلمي بدمشق (1919-1953م)، وهو صاحب مجلّة المقتبس، ولمحمد كرد علي مؤلّفات كثيرة من أشهرها : خطط الشّام . ينظر : خير الدين الزركلي، الأعلام، 202/6.

⁴ هو: محمد بن محمد بن حسين بن بكري (1875-1961م)، علامة وعالم ربّاني ، ولد بدمشق، درس في المدرسة الرشيدية، ثمّ انتقل إلى مكتب عنبر، ثمّ ذهب إلى إسطنبول قاصداً المدرسة الحربية، ولكنّه عاد لدمشق لاستكمال بعض الأوراق فالتقى بالشيخ سليم المسوتي فأشار عليه التحوّل لدراسة العلوم الشرعية، فقرأ عليه الصحيحين والجامع الصغير وغيرها من الكتب، رحل إلى إسطنبول وحمص وحماة وحلب وغيرها من البلاد ثمّ جلس في مصر للتدريس، ونشر العلم، وتربى على يديه جماعة من الأفاضل منهم محمد الرنكوسي . ينظر : يوسف المرعشلي، معجم المعاجم والمشيات، 513/2-514.

⁵ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 176/2.

والدكتور شوكة الشطّي .

ومن أساتذته :

فارس بك خوري: العالم، الشاعر، الفحل الخطيب في العربيّة وفي الإنجليزيّة، كان رئيس مجلس النواب ورئيس الوزراء، وترأس مجلس الأمن في إحدى المرّات، وأحد عباقرة العرب في القرن العشرين، وقيل إنّه مات مسلماً¹.

والشيخ أبو اليسر العابدين: كان مفتي الشّام، وكان أبوه من قبله مفتي الشّام، وكان يدرّس الطلبة الأحوال الشخصيّة، والفرائض، والوصايا، وأصول الفقه، وهو النموذج الكامل لعلماء القرن الماضي.²

وسعيد محاسن: وهو أقدر محام عرفه الشيخ الطنطاوي في الشّام ومصر في الدعاوي الحديثة، ويقول عنه الشيخ الطنطاوي: "كان أحد خمسة لو أتاهم الله مع العلم البيان، وفصاحة اللسان، لما قام لهم أحد، منهم أستاذنا سليم الجندي، وشيخ القضاة الشرعيين حسن الشطّي، ... وشيخنا أبو اليسر، والشيخ عبد المحسن الاسطواني".³

وسامر الميداني: المحامي الكبير، كان يدرّس الحقوق الدوليّة.

والأستاذ ستيف: عالم فرنسي، وكان المستشار التشريعي للدولة السوريّة، درّس الشيخ الطنطاوي (مدخل إلى علم الحقوق)، ثم صار بعد ذلك وزيراً للأوقاف، ثم دخل مع حسني الرّعيم وصار رئيس وزرائه، ثم قتل معه لمّا قتل، هو الأستاذ (محسن البرازي).⁴

¹ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 178/2.

² ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 181/2.

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 183/2.

⁴ علي الطنطاوي، ذكريات، 185/2.

وفايز خوري : كان يدرّس الحقوق الرومانيّة، كان ذكي الجنان، طلق اللسان، قويّ الشخصية، له منزلة اجتماعيّة ؛ لكنه كسلان لا يعدّ للدرس ولا يحفل به، كأن ليس له ضميرٌ يحاسبه !، وكان أحد أركان الكتلة الوطنيّة وأحد المحامين والخطباء، وهو الأخ الأصغر لفارس بك خوري .

ومن أساتذته أيضًا : شاعر الحنبلي، وشفيق جبيري وعلي الجزائري (مدرّس اللّغة الإنجليزيّة).

أما عن رفاق الشيخ وتلاميذه :

فقد رافق الشيخ مجموعة من الأعلام المعروفين، منهم : عبد الغني الكرمي، وعبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، أنور العطار، واسعاف النشاشيبي، وسعيد الأفغاني، وحسام الدين القدسي، ومحمد محمود الصوّاف .

ومن تلاميذ الشيخ : عبد السلام عارف، وجهاد عبد الوهّاب، ونجدة فتحي صفوة، وزهير شاويش، ومجدي مكي .

خامسًا : وظائفه :

لم يقتصر الشيخ في حياته على وظيفة معينة فقد كان فقيهاً وأديباً وخطابياً متحذلقاً، وتعددت مواهبه فأتيح له أن يشتغل في وظائف متعددة وهي :

-في الصحافة: عند الحديث عن الصحافة في حياة علي الطنطاوي لا بدّ من التطرّق لحاكيته مع أول مقالةٍ نشرت له ... وهي أنّ الشيخ وقد كان عمره سبع عشرة سنة في أوائل عام 1344هـ، فكتب مقالاً وأقرأها لرفيق عمره أنور العطار¹، فما زال يزيّن له نشرها حتى لان، وغدا إلى إدارة المقتبس، وكانت في شارع السنجقدار القديم قبل أن يخربه المنتدبون، وقبل أن يعيد الناس بناءه، فتجرأ وصعد السلم وسلّم على الأستاذ أحمد كرد علي ودفع إليه المقال، فأخذه ونظر فيه يقول الشيخ: "قرأى كلاماً مكتهاً ناضجاً ورأى أمامه فتىً صغيراً فطيراً...، فعجب أن يكون هذا من هذا، وكأنه قد شكّ فأحبّ أن يتحقق فاحتال عليّ حتى امتحنني بشيءٍ أكتبه له

¹ هو: أنور بن سعيد بن أنيس العطار (1326-1392هـ)، شاعر سوريّ رقيق، من أدباء المدرسين، أمضى حياته في تدريس الأدب في سوريا والسعوديّة والعراق، تولى رئاسة ديوان الإنشاء في وزارة المعارف مدة قصيرة، وله ديوان (ظلال الأيام) والعديد من الكتب والمؤلفات الشعرية والنثرية . ينظر : خير الدين الزركلي، الأعلام، 29 /2.

زعم أنّ المطبعة تحتاج إليه وليس عنده من يكتبه ولا يحسنه تأجيله، ففهمت وأنشأته له إنشاء من يسابق قلمه فكره، فازداد محبّة منّي ووعدني بنشر المقالة غداً الغد..¹

ثمّ يصف فرحته في ذلك اليوم، فيقول: "خرجتُ من إدارة الجريدة وأنا أتحمس جانبي هل نبت لي أجنحة أطير بها لفرط ما استخفّني من السرور"²، ثمّ يقول: "لقد نشرت بعدها أكثر من ألفي مقال فما عرفت مثل تلك الفرحة."³

هذه كانت البداية..

ثمّ عاد الشيخ إلى احتراف الصّحافة سنة 1930 عندما دعاه خاله محبّ الدين الخطيب إلى مصر حيث شارك في تحرير مجلتيه (الفتح والزّهاء). وكانت مجلة الفتح أول مجلة إسلامية، بل كانت الجريدة الإسلامية الوحيدة وكانت أسبوعية ولكنّها عالية الصوت، مسموعة الكلمة معروفة في الأوساط الإسلامية في بلاد الإسلام جميعاً، لها من التأثير أكثر مما لجرائد ذلك البلد.⁴

أمّا مجلة الزّهاء فهي مجلة الأدب الإسلامي، عندما ذهب الشيخ إلى مصر كانت في دور النزع، وصدر منها أربعة مجلدات، وفي سنتها الخامسة نضب موردها وقلّ ما بها، وأفلست ولكنّها كانت تجاهد جهاد المحتضر لتدفع عن نفسها الموت، وقد صدر فيها بعد وصوله عددان فقط، كتب الشيخ أكثر ما نشر فيهما ويقول عن كتاباته في تلك الأيام:

"لا أقول إنّ الذي كتبتّه من الأدب الجيد، ولكن أقول إنّّه كان فوق محاولات المبتدئين ودون كتابة المطبوعين المجوّدين."⁵

ثمّ عمل الشيخ في صحيفة (فتى العرب) مع الأديب الكبير الأرنؤوط، وصحيفة (ألف باء) لصاحبها يوسف عيسى، وقد كانت مواضيع المقالات عن أفلام السينما حيث كان يكتب فصلاً

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 1/ 364.

² علي الطنطاوي، ذكريات، 1/ 365.

³ ينظر: علي الطنطاوي، الذكريات، 1/ 365.

⁴ ينظر: علي الطنطاوي، الذكريات، 1/ 368-369.

⁵ علي الطنطاوي، الذكريات، 1/ 369.

قصيرة، وهي وسط بين تلخيص القصة ونقد التمثيل، ولم تكن تخلو من تعليق فيه عبرة ومن نصيحة أو موعظة، على أن الشيخ لم يكن من رواد السينما بل لم يدخلها إلا مرة واحدة وهو صغير أيام الحرب العالمية الأولى، حيث أروهم مشاهد من حرب القلعة عند المضيق قرب اسطنبول، ويقول: " ما فهمت منه شيئاً"¹.

بقي الشيخ يكتب في جريدة (ألف باء) ثم أخذ يكتب في جريدة القبس أيضاً، وحين تكون المقالة وطنية ملتبهة يبعثها إلى القبس، وحين تكون هادئة معقولة ينشرها في (ألف باء)، ثم أصبح مدير تحرير جريدة (الأيام) التي أصدرتها الكتلة الوطنية سنة 1931م، وخلال ذلك كان يكتب في (الناقد) و(الشعب) وسواهما من الصحف، وعندما أنشأ الزيات² مجلة الرسالة أصبح الشيخ واحداً من كتابها واستمر فيها عشرين سنة إلى أن احتجبت سنة 1953، وكتب بالإضافة إلى كل تلك السنوات في مجلة (المسلمون) وفي (النصر)، وحين ذهب إلى المملكة نشر في مجلة الحج في مكة وفي جريدة المدينة، وأخيراً نشر ذكرياته في (الشرق الأوسط) على مدى نحو خمس سنين .

-في التعليم :

بدأ الشيخ بالتدريس في المدارس الأهلية بالشام في الأمينية والجوهريّة والكاملية وهو في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره عام 1345هـ .

وطبعت محاضرات الشيخ التي ألقاها على طلبة الكلية العلمية الوطنية في دروس الأدب العربي عن (بشار بن برد) في كتاب عام 1930م وكان عمره آنذاك 21 عاماً .

ثم أصبح الشيخ معلماً ابتدائياً في مدارس الحكومة سنة 1931م وبقي في التعليم الابتدائي إلى 1935م . وكانت حياة الشيخ في تلك الفترة سلسلة من المشكلات بسبب مواقفه الوطنية وجراته في مقاومة الفرنسيين وأعاونهم في الحكومة فما زال ينقل من مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى قرية حتى طاف بأرجاء سوريا جميعاً .

¹ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 402 /1.

² أحمد حسن الزيات باشا ١٣٨٨ هـ من كبار رجال النهضة الثقافية في مصر والعالم العربي، ومؤسس مجلة

الرسالة. اختير عضواً في المجامع اللغوية في القاهرة، وحاز على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام

١٩٦٢ م في مصر. /ينظر: أحمد حسن الزيات، المكتبة الشاملة . <https://shamela.ws/author/2279/>

درّس الشيخ في المدرسة الابتدائية في القرية سلمية سنة 1932م . نقل الشيخ إلى قرية سقبا ثم صار مسؤولاً عن مدرسة ابتدائية فيها أكثر من مئة من التلاميذ.

انتقل إلى العراق عام 1936م مدرّساً في الثانوية المركزية في بغداد، ثم في ثانويتها الغربية ودار العلوم الشرعية في الأعظمية، لكنّ جراته في الحق فعلت به في العراق ما فعلت به في الشام فما لبث أن نقل مرّة بعد مرّة، فعلم في الكركوك في أقصى الشمال، وفي البصرة في أقصى الجنوب.¹

كانت تجربته بالتعليم الثانوي في بغداد مختلفة عن تجربته بالتعليم الابتدائي في الشام أيّما اختلاف، فقد انتقل من تلقين تلاميذ صغار محدودي الإدراك إلى تعليم طلاب كبار يتلهفون للتلقي والتعلم، فتجرت قريحته ونثر ذخائر علمه دون حساب.²

بقي علي الطنطاوي يدرّس في العراق حتى عام 1939م لم ينقطع عنه غير سنة واحدة، أمضاها في بيروت مدرّساً في الكلية الشرعية عام 1937م.³

ثمّ رجع إلى دمشق فعين أستاذاً معاوناً في مكتب عنبر، ولم يكف عن شغبه ومواقفه التي تسبب له المتاعب وكان من هذه المواقف (موقفه في احتفال أقيم لذكرى المولد النبوي) وموقف دير الزور سنة 1940.⁴

ترك الشيخ التعليم فترة من الزمن واتجه إلى القضاء ثم عاد إليه عام 1963 عندما ذهب إلى الرياض مدرّساً في الكليات والمعاهد⁵، ثمّ درّس في مكة في كلية التربية وما لبث أن كلف بتنفيذ برنامج للتوعية الإسلامية، فترك الكلية وراح يطوف على الجامعات والمعاهد والمدارس في أنحاء المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات .

¹ ينظر :مجاهد ديرانية، علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء، ص 19

² ينظر في المصدر نفسه ص 19

³ ينظر : مجاهد ديرانية، علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء، ص 20.

⁴ ينظر مجاهد ديرانية، علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء، ص 20.

⁵ وكان هذا يطلق على كليتي الشريعة واللغة العربية وقد صارت بعد جامعة الإمام محمد بن سعود.

-في القضاء:

عندما فرض على الشيخ إجازة قسرية بسبب جرأته في قول الحق، رأى وهو يسير في إحدى المرات إعلاناً عن وظيفة في القضاء، فقدم طلباً وقُبل، وكان هذا بداية عهده في القضاء، ومضى الشيخ فيه حوالي ربع قرن خرج منها من ضيق الحياة ممثلاً في التعليم بمدرسة القرية الابتدائية ودخلها من أوسع أبوابها قاضياً في النبك في دوما¹ ثم قاضياً ممتازاً في دمشق، فمستشاراً لمحكمة النقض في القاهرة أيام الوحدة مع مصر .

ومما يحسن للشيخ أنه عندما نجح في امتحان القضاء وعين قاضياً في النبك لم يسارع إلى استلام العمل، بل طلب من الوزارة أن تمهله شهراً حتى يعرف المعاملات كلها من عقد النكاح وحصر الإرث وتنظيم الوصية إلى الحكم في قضايا الإرث والوقف والزواج².

وقضى الشيخ في النبك قاضياً نحو أحد عشر شهراً، ثم كانت تنقلات في وزارة العدل بين القضاء فنقل قاضياً إلى دوما، ثم أصبح قاضياً في دمشق وقضى في ذلك الموقع عشر سنوات (1943م-1953م) حين نقل لمحكمة النقض .

اقترح لما كان قاضياً في دوما وضع قانون كامل للأحوال الشخصية، فكلف بذلك سنة 1947م ولبت في محكمة النقض، ثم كانت الوحدة بين سورياً ومصر، ودمجت محكمتا النقض في البلديتين في محكمة واحدة مقرهما القاهرة وذلك عام 1959م، على أن الطنطاوي لم يبرح مكان عمله في دمشق إلا مرات قليلة إلى مصر حين تعقد فيها الجمعية العمومية، حتى رحل إلى الرياض عام 1963م .

سادساً: وفاته :

عندما جاوز الشيخ الثمانين بدأ جسمه الذي حمله في مسيرة حياته الحافلة بالتعب، وما عاد يقوى على العمل فأثر ترك الإذاعة والرأي. واعتزل الشيخ الناس إلا قليلاً من المقربين، وأوى إلى عزلة

¹ من قرى دمشق.

² ينظر مجاهد ديرانية، علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء، ص 23.

فكرية كالعزلة المادية التي كان يعيشها منذ سنين، وبات الشيخ ينسى بعضاً من شؤون يومه، ولكن الله كرمه فحفظ عليه توقّد ذهنه ووعاء ذاكرته حتّى آخر يوم في حياته.¹

ويقول حفيده مجاهد: " لقد صار أخيراً يتورّع عن الفتوى مخافة الزلل والنسيان، ولكنّ الواقع أنّه كان قادراً على استرجاع المسائل والأحكام بأحسن ما يستطيعه كثيرٌ من الرّجال والشّبان، وكان -حتّى في الشهر الذي توفي فيه -تفتح بين يديه القصيدة لم يرها من عشر سنين أو عشرين فيتمّ أبياتها ويبينّ غامضها، ويذكر العَلَمَ فيترجم له، وربّما اختلف في ضبط مفردة من مفردات اللغة أوفي معناها فيقول هي كذلك²، فتكون كما قال .

ثمّ ازداد تعبهُ، وكانت تأتيه أزماّت متباعدة فتقاربت، ثمّ أخذ ينتقل من البيت إلى المشفى في العام الأخير . إلى أن أتمّ الله قضاءه، وفاضت روحه في اليوم الذي ولد فيه (يوم الجمعة) في مستشفى الملك فهد بجدة وكان ذلك الموافق: 4ربيع الأول 1420هـ، عن عمر يناهز الـ90 عاماً، ودفن في مكّة في اليوم التالي بعدما صلي عليه في الحرم المكي الشريف، رحم الله الشيخ وألحقنا معه في جنات النعيم .

سابعاً : مؤلفاته :

لقد بدأ الشيخ الكتابة في سنّ مبكرة، ولم يتوقف عنها حتّى آخر سني حياته، فبلغ عدد كتبه أكثر من ثلاثين كتاباً، والعديد من الرّسائل أشهرها (يا ابني، يا بنتي) ومئات المقالات التي نشرت، ومنها ضاعت أصولها وفقدت الصّحف التي نشرت فيها أول مرّة .

وكُتِبُ الشيخ في مجملها تجميع لمقالات نشرت في الصّحف أو المجلّات أو عبر الإذاعات في أزمنة مختلفة وظروف مختلفة، ثمّ ضُمّت الأشباه بعضها إلى بعض ونظّمت ورتبت حتّى جاءت منها الكتب متّسقة في موضوعها منسجمة في أجزاءها³ . واستثني من ذلك بعض كتبه ومنها كتاب: عمر (رضي الله عنه)، وكتاب : أبوبكر الصّديق (رضي الله عنه)، وكتاب (تعريف العام بدين الإسلام) .

¹ ينظر: مجاهد ديرانية، علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء ص28-29.

² مجاهد ديرانية، علي الطنطاوي فقيه الأدياء وأديب الفقهاء، ص29.

³ ينظر: مجاهد ديرانية، علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء، ص33.

لقد كتب الشيخ علي الطنطاوي في فنون عديدة من الأدب، فقد كتب المقالة والقصة القصيرة، والمسرحية، والسيرة الذاتية، وأدب الأطفال . ولكن أكثر ما كتبه كان من المقالات التي تنوعت موضوعاتها، إلا أنها اشتركت في أنها كتبت لخدمة الدين والوطن والأخلاق، ولقد كان رأي الشيخ حازماً في أن الأدب الذي يخلو من كل ذلك إنما هو أدب بلا قيمة .

ومن مؤلفات الشيخ الأدبية : فكر ومباحث، صور وخواطر، مع الناس، هُتاف المجد، مقالات في كلمات، البواكير، قصص من الحياة، فصول في الثقافة والأدب، فصول اجتماعية، صيد الخاطر (تحقيق وتعليق) .

السيرة الذاتية : ذكريات علي الطنطاوي (8 أجزاء)، من حديث النفس، من نفحات الحرم، بغداد مشاهدات وذكريات، في أندونيسيا .

الكتابات التاريخية : أبوبكر الصديق، أخبار عمر، رجال من التاريخ، أعلام التاريخ (7 أجزاء) منها : (كتاب عبدالله بن المبارك، وعبدالرحمن بن عوف، والقاضي شريك، والإمام النووي، وأحمد بن عرفان الشهيد)، قصص من التاريخ، حكايات من التاريخ، دمشق، الجامع الأموي .

الكتابات الإسلامية : تعريف عام بدين الإسلام، فتاوى علي الطنطاوي، فصول إسلامية، في سبيل الإصلاح، فصول في الدعوة والإصلاح، نور وهداية، سيد رجال التاريخ محمد(صلى الله عليه وسلم).

وهذه لمحة عن كتاب الذكريات والكتب الأدبية للشيخ:

أولاً : كتاب ذكريات (1-8):

كتابٌ كانت بدايته مقالات كتبها الشيخ في مجلة الشرق الأوسط، وهو سيرة ذاتية للشيخ الطنطاوي، ألف في ثمانية أجزاء، كل جزء ما يقارب الأربعمئة صفحة، وهو عبارة عن مئتين وخمس وأربعين حلقة، حيث أطلق على كل مقالة اسم (حلقة)، وهذه الذكريات في الحقيقة عبارة عن شذرات علمية، ومقتطفات أدبية، وحياة مليئة بالطموح والكفاح والجمال، فعلي الطنطاوي هو رجل صاحب مبدأ، وصاحب ثقافة عالية، حيث أمضى حياته في القراءة كما ذكر في الذكريات، فكان يقرأ كل يوم ما يقارب المائتي صفحة، وقد بدأ ذلك جلياً في ذكرياته التي لم يقتصر فيها

الحديث عن حياته وأسرته وما مرّ فيه، بل تعدى ذلك إلى الحديث عن حوادث وشخصيات تاريخية، وتاريخ بعض الدول مثل أندونيسيا، فضلاً عن ما تحمله تلك الصفحات من عبر وحكم ومواعظ حصيلة لتجاربه وقراءته، ومما يميّز الشيخ الطنطاوي أسلوبه الذي يخلط به الجدّ بالهزل، وفيه من السلاسة والوضوح ما يخرق قلب القارئ، فيشعر بأنه يعيش معه فقد يضحك بصوت عالٍ نتيجة موقف طريف ذكره، ويبكي تارة نتيجة موقف مؤلم، فأسلوبه سهلٌ ممتنع فهو سهلٌ في ظاهره، تظهر صعوبته إذا أراد أحد تقليده، وكان الشيخ يكثر من الاستطراد وإن كان في الأسلوب طرد من الملل للقارئ إلا أنه يشنته أحياناً، ويشكل بعض الصعوبة للباحث الذي يحاول جمع معلومات غير متسلسلة ما يستغرق وقتاً في جمع المعلومات وترتيبها .

ثانياً : فِكر ومباحث:

من أوائل ما نشر علي الطنطاوي، وهو عبارة عن مجموعة من مباحث وأفكار كتبت في خمسٍ وعشرين مقالاً، نشر حوالي نصفها في الثلاثينيات، وأقدمها مقال (كيف تكون كاتباً) نشرت عام 1932م، ومقالة (في التحليل الأدبي) نشرت سنة 1934م، وهما قريبتا المنهج والمضمون، وفي الكتاب أمثال لهذه الأبحاث العميقة منها: (بين العلم والأدب) و(في النقد)، و(الأدب العربي في مدارس العراق) وفيه مقالات في وصف الأدب وواقعه منها (الحياة الأدبية في دمشق)، و(أدب إقليمي)، و(الترجمة والتأليف)، كما أنّ فيه دراستين نفسيّتين، واحدة عن (الأبيوردي)، والدراسة الثانية تلخيص لنسخة ثمينة من كتاب مقفود هو (تعبير الرؤيا لابن قتيبة)¹.

ثالثاً : صور وخواطر:

يضم هذا الكتاب ثمانية وثلاثين مقالاً، نشرت خلال ثلاثة عقود ما بين عامي 1935 و1966، ولعلّ هذا الكتاب من أطرف كتب الشيخ، تعددت فيه الموضوعات والعناوين، وفيه أكثر مقالات الشيخ انتشاراً وهما مقالتا (يا ابني) و(يا ابنتي) اللتان طبعتا مفردة في رسائل صغيرة عشرات المرات وطبع منها حوالي مليون نسخة، وكانت توزع في المساجد بهدف الإصلاح والدعوة.

ومما أفرد في رسائل مستقلة من مقالات هذا الكتاب مقالة جمع فيها الشيخ مما قيل في نجد من الشعر وما أنشد فيها من القصائد، فكانها ديوان نجديّ موجز تتداخل فيه المقاطع الشعرية

¹ ينظر : مجاهد ديرانية، علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء، ص45.

والتعليقات الأدبية، والشروح الأدبية وهو مقال بعنوان "حلم في نجد"، أما أكثر المقالات طرافة فهي: (أعرابي في الحمام) و(أعرابي في السينما)، و(الأعرابي والشعر)، و(ديوان الأصمعي).¹

رابعًا : مع النَّاس :

يضم الكتاب أربعين مقالاً، وهي مقالات اجتماعية واقعية تهتم بقضايا النَّاس ومشكلاتهم وهمومهم، وأكثرها مما نشر في أواخر الخمسينيات، وكان كثير منها مما أذيع من إذاعة دمشق، وقد كانت هذه المقالات تسعى للإصلاح والمعالجة لما كان في المجتمع من مشكلات . فمن المشكلات التي خصها بمقالات : مشكلة الاستهتار بالوقت واختلاف المواعيد، فكتب عدة مقالات يسلط فيها الضوء على هذه المشكلة سعياً لإصلاحها ومنها : (الصوص الوقت)، (لا تؤجل)، (الوعد الشرقي). كما ركز على قضية تشغيل الطلبة في العطلة الصيفية، دعوة منه لتقدير العمل واحترامه وتعويد الطلاب عليه، وحتى لا يتعودوا الكسل والانتكال. ثم خصَّ الطلاب بالاهتمام بالدراسة في مقال (إلى الطَّلاب)، وفيه دعوة إلى الخير والإنفاق في مقال (أحسن كما أحسن الله إليك)، والقضية التي شغلت أكبر مساحة من الكتاب وهي الدعوة إلى الفضيلة ومعالجة مشكلات الشباب والشابات كما في (هذا نذير للناس) و(إبراهيم هانانوقال لي)، ثم تشخيصها والعلاج في مقالات عدة منها : (مشكلة الزواج)، و(في الزواج)، و(هذا هو الدواء)، وغيرها .

خامسًا : هُتَاف المجد :

كتاب يحوي على خمسة وثلاثين مقالاً، في مئتين وثمانية وعشرين صفحة ، منها ما نشر أصلاً في الصحف والمجلَّات ومنها ما كان أحاديث أذيعت في الإذاعات أو خطباً ألقيت في الاحتفالات والمهرجانات، وهي تعود إلى حقبة طويلة تمتد عبر الثلاثينات والأربعينات والخمسينات، لقد كانت قضايا الأمة الشغل الشاغل للشيخ الطنطاوي على امتداد حياته كلها وفي هذا الكتاب تجلت الروح الوطنية لدى الشيخ، وبدت فيه عاطفته في أظهر صورها وأعنف حالاتها.²

¹ ينظر: مجاهد ديرانية، علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء، ص 47-48

² ينظر : مجاهد ديرانية، علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء، ص 54.

فقد شنّ فيه حرباً على أعداء الأمة والمستعمرين، على فرنسا في الشّام وفي الجزائر، وعلى إنكلترا في مصر، وعلى إيطاليا في ليبيا، وعلى اليهود فوق كل أرض وتحت كلّ سماء.

ومن أهم القضايا التي شغلت الشيخ وكتب عنها في هذا الكتاب عدّة مقالات هي قضية فلسطين، فجاءت مقالة (لا تنسوا فلسطين) ، و(القول للسيف ليس القول للقلم) التي جاءت بعد قرار التقسيم عام 1947م، ولقد سعى لهذه القضية دائماً بقلمه ولسانه وجنانه.¹

سادساً : مقالات في كلمات :

هذا الكتاب عبارة عن مقالات قصيرة عبّر فيها الشيخ بقوله (كلمات) لقصرها، وهي مئة وثلاث عشرة مقالة في مئتين وأربع وخمسين صفحة، وهي ذات مواضيع متنوّعة ويعود ذلك إلى كتابتها في أزمان متباينة، فمنها ما يعالج مشكلات اجتماعيّة مثل : (نظام) و(الزواج بالأجنبيّات) و(شخّاذون)، أو يدافع عن الفقراء والضعفاء مثل : (أجير الخبّاز) و(طفلان)، ومنها ما اهتم بالمشكلات الأخلاقيّة مثل : (مشكلة وجيه)، (بائعة يانصيب) وغيرها من المواضيع المختلفة ختمها بمقالة (وداع)، ودّع فيها جمهوره قائلاً (لا كلمة صغيرة) بعد اليوم.²

سابعاً : قصص من الحياة :

هذا الكتاب يحوي سبعاً وعشرين قصّة في اثنتين وثلاثمئة صفحة، كتبها الشيخ في شبابه، وعندما قرر نشرها نظر إليها نظرة الكهل فوجد أنها مما لا يحبّ لبناته اطلاعه عليها، وهولا يحبّ لبناته ما لا يحبّه لبنات النّاس، ففكر في التراجع عن نشرها، إلّا أنه وجد بأنّ الشباب يقرؤون من الأدب المكشوف الذي يدعو إلى الشر، فلا ضير في أن يمروا بتلك المشاهد ليدعى بها إلى الخير والإصلاح، وأنّ هذه القصص واقعيّة إن كتم خبرها لن يستطيع أحد محو حقيقتها، فإن لم تقرأ في الكتب سمعها النّاس من غيرهم أو شاهدوها في واقعهم، إلّا أنه اختصر وحذف وضخّى بصور أدبيّة كثيرة في سبيل الحياء والخلق، وقد نصح الشباب في مقدّمة الكتاب بعدم

¹ ينظر: مجاهد ديرانية، علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء، ص56.

² ينظر : مجاهد ديرانية، علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء، ص58-60.

قراءته¹، وهذه القصص في مجملها تعالج مواضيع اجتماعية أخلاقية، ومن عناوينها: (اليتيمان)، (قصة أب)، (الخدّامة)، (العجوزان)، (طبق الأصل)².

ثامناً: البواكير:

في هذا الكتاب ستة وسبعون مقالاً، وهو من أوّل ما كتب علي الطنطاوي، ما بين عامي 1929-1935م، أي كان عمره آنذاك ما بين عشرين وستة وعشرين عاماً، وكلّ هذه المقالات مما كتبت ونُشر أيام الانتداب الفرنسي على الشّام، يوم كان الأمر والنهي للفرنسيين ويبد مفوضهم السّامي الحكم والسلطان.

فجاء في هذه المقالات من الحدة والشدة ما يغالب سنّ الشباب، كما وطغى على هذه المقالات روح الوطنيّة الوثابة والتي ملأت الكتاب كلّها، وكان فيها من الجرأة والصراحة والوضوح ما يدعو للعجب، خاصّة لمن هو في مثل سنّه وفي الظروف التي عاشها في ذلك الزمن.

كما وسادت على هذه المقالات العاطفة الإسلاميّة الفياضة، والحماسة الدينيّة الفوّارة، والاعتزاز باللّغة العربيّة والغيرة عليها و الاستماتة في الدّفاع عنها، وقد تنوّعت مواضيع هذه المقالات ولم يجمعها سوى الزمن الذي كتبت فيه، لذا فقد قام حفيده مجاهد الذي جمع المقالات ورثبها ونشرها بترتيبها حسب تاريخ كتابتها، وحرص في هذا الكتاب على كتابة تاريخ كلّ مقال وموضع نشرها، فذكر اسم الجريدة التي نشرت فيها والتاريخ باليوم والشهر والسنة، وذلك لإحساسه بأنّه يقدم تاريخ علي الطنطاوي وليس فقط سجلاً لكتاباته في تلك السنوات المبكرة من حياته.

وقد كان يظنّ الشيخ أنّ تجميع هذه المقالات في غاية الصعوبة، وكان يتساءل إن كان سيأتي من بعده من هوأحرص منه على تجميع مقالاته ونشرها، فهياً الله، سبحانه وتعالى، لها حفيده مجاهد فجمعها ونشرها وبوبها في هذا الكتاب تحت عنوان البواكير.

ومن هذه المقالات: خواطر غريب، طلاب دمشق، في ذكر مولد فخر الكائنات، ألا ليشهد العالم كلّها، و (قطعة من حديث) مقسّمة إلى ثلاث أجزاء، وأنا ونفسي، على قارعة الطريق وغيرها.

¹ ينظر : علي الطنطاوي، قصص من الحياة، ص8.

² ينظر: علي الطنطاوي، قصص من الحياة، ص303-304.

الفصل الثّاني

التعدديّة اللغويّة

لقد عاش الشيخ عليّ الطنطاويّ أزماناً متعدّدة، فقد شهد حكم الأتراك (العثمانيين)، والفرنسيين، والاستقلال، وتنقّل من بلدٍ إلى بلدٍ بسبب مؤتمر القدس الذي كلفه التنقل بين الدول؛ لشرح قضية فلسطين إضافة لرحلة الحج وتنقله خلال وظائفه، وقد بيّن الشيخ من خلال حديثه في الذّكريات تعدد اللّغات واللهجات بين البلدان وتعدد اللغات في الدولة نفسها.

فهذه دمشق التي فرضت عليها اللغة التركيّة زمن الأتراك، حتّى درّست فيها اللغة العربيّة باللغة التركيّة!، ولكنّ الحال تغيّر عندما احتلّها الفرنسيون، وكذلك عند وحدتها مع مصر واستقلالها، كما تحدّث الشيخ عن تنوع اللغات في البلاد التي زارها، وذكر بعض المصطلحات الشائعة في بعض المناطق لم يسمع بها من قبل، وذكر بعض اللهجات في البلاد العربيّة.

كما أنّه وضّح اختلاف بعض المصطلحات من شعبٍ إلى آخر وأشار إلى الكلمات غير العربيّة المستخدمة في البلدان العربيّة!، كل ذلك أشار إلى التعدديّة اللغويّة في البلدان العربيّة والإسلاميّة التي عاش فيها وزارها الشيخ.

أولاً: المصطلحات غير العربية التي ذكرها الشيخ :

كلمات فرنسيّة:

-فاكولته¹: تعني (الكليّة) .

-كولتور: الثقافة في الفرنسيّة، وهذا معنى مجرد غير حقيقي، فهي كلمة تدلّ في حقيقتها على الحرث والزرع، ويقولون للرجل (كولتيفه) أي محروث أو مزروع.²

-شاكان: كلمة فرنسيّة تعني (كل واحد).³

-بلاسه: كلمة فرنسيّة تعني (محلّه).⁴

-البونيسيون: كلمة فرنسيّة تعني (العقوبة).⁵

-البلانشو: هي البالانس (بالفرنسيّة) وهي الموازنات السنويّة.⁶

وقد ذكرت في ذكريات الشيخ عند حديثه عن أستاذه التّونسي الذي كان يدعى المسيو صالح (بفتح اللام)، وكان جهير الصّوت ناريّ الطبع، يؤلف الجملة الواحدة من كلمات عربيّة وكلمات فرنسيّة⁷، فكان يقول: " شاكان في بلاسه واللي يحكي نعمل له البونيسيون⁸"، أي : كلٌّ في محله والذي يتحدث نعاقيه.

-أنكور: كلمة فرنسيّة تعني أيضاً أو مثله.

وذكر الشيخ على هذه الكلمة قصّة فيها شيءٌ من الفكاهة، يقول: أن فخري البارودي غفر الله له لما ذهب إلى باريس وكان من أوائل من ذهب إليها من السوريين، رأى على مائدة مجاورة

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 51/7.

² علي الطنطاوي، ذكريات، 59/7.

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 199/1.

⁴ المصدر نفسه.

⁵ المصدر نفسه.

⁶ ينظر :علي الطنطاوي، ذكريات، 242/1.

⁷ ينظر :علي الطنطاوي، ذكريات، 199/1.

⁸ علي الطنطاوي، ذكريات، 199-200.

طعاماً استطابه، فلما فرغ قال للنادل (أنكور) ومعناها أيضاً أو مثله، فحسب أنّ اسم الأكلة (أنكور) فقالها للنادل، فجاءه بمثل الأكلة التي كانت أمامه، فقال للنادل : يا ابن الحرام ليش أنكوري ما هو مثل أنكوره.¹

-باك (قرية سلمان باك) تعني الطاهر في الفرنسية.²

كلمات وعبارات تركية:

- الكباري: (كلمة أصلها تركي) ويطلقها المصريون على الساحات والجسور.³

-باديشاهم جوق ياشا : تعني: يعيش سلطاننا طويلاً.⁴

-الدونمة : يهود الأندلس.⁵

-نر: تعني (ما هو؟).⁶

-نرده: تعني (أين؟).⁷

-السلطاني : تعني الثانوي وهو مصطلح كان يطلق زمن الأتراك على المدرسة (المكتب).⁸

-المولى: العالم عند الأتراك⁹ والأكراد يقولون ((الملا)) وأصلها المولى.

-أدب سز: كلمة تركية تعني (بلا أخلاق).¹⁰

¹ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 164/6، 165.

² علي الطنطاوي، ذكريات، 293/7.

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 29/1.

⁴ علي الطنطاوي، ذكريات، 67/1.

⁵ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 54/1.

⁶ علي الطنطاوي، ذكريات، 54/1.

⁷ المصدر نفسه .

⁸ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 74/1.

⁹ علي الطنطاوي، الذكريات، 105/1.

¹⁰ علي الطنطاوي، الذكريات، 1 / 131.

-كراكوز : كلمة تركيَّة تعني (العين السوداء) أي : صاحب العين السوداء، وهوخيال الظل، ولخيال الظل في كتب الأدب والتاريخ حديث طويل، وقد عرض لذكره الإمام الغزالي¹، وأشهر ما كان يؤلف رواياته وينظّم أناشيدها ولحنها ابن دانيال² طبيب العيون.³

-لر : كلمة كان يستخدمها أهل بغداد وأصلها (تركي) وهي علامة الجمع عندهم.⁴

-جوجقار مكتبه كديور : جملة تركيَّة تعني (الأولاد يذهبون إلى المدرسة).⁵

كلمات هولنديَّة :

-دام في (أمستردام) و(نوتردام) وغيرها، معناها (السّد).⁶

-تريما كاسي : كلمة هولنديَّة تعني شكراً.⁷

-بنجاوم عمر : الله يطوّل بعمرك.⁸

وقدر وردتا هاتان الكلمتان في قصّة حدثت للشيخ وهو في مدينة جاوة، وكانت الدّنيا يومئذ عيد، وكان الشيخ قد أحسّ بشيء من الوحشة وضيق الصّدر لبعده عن وطنه وأهله وبناته، فخرج إلى ساحة الاستقلال، وأخذ يسير حتى بلغ حديقة لحظ أنّها مرتع للأطفال الأغنياء لما يبدو عليها من آثار السرف والترّف، وكان على باب المدينة عجوز قد أمال ظهرها ثقل ما حملت من كثرة السنين وفي يدها طفلة كأنّها الفلّة المتفتّحة جمالاً وطهرًا في ثياب قديمة لكنّها نظيفة، وكانت

¹ أبو حامد الغزالي عند جمهور المتقدمين حجّة الإسلام ومجدد القرن الخامس الهجري، ومحبي علوم الدين .

ينظر: يوسف القرضاوي، الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه، ص84-92.

² هو: شمس الدّين محمّد بن دانيال بن يوسف بن معتوق الخزاعي الموصلّي (647-710هـ)، شاعرٌ وحكيم، وكان كثير المجون وله شعر بديع، وهو صاحب كتاب (طيف الخيال)، الّتي لم يصنّف مثله في معناه . ينظر : أحمد بن علي المقرئزي، السلوك لمعرفة الملوك، 462/2. ينظر: ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، 439-438/1 .

³ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 197/ 1.

⁴ ينظر :علي الطنطاوي، ذكريات، 146/4.

⁵ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 136/6.

⁶ ينظر :علي الطنطاوي، ذكريات، 121/3وعلي الطنطاوي، ذكريات، 233/7.

⁷ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 127/3.

⁸ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 127/3.

تنظر إلى هذا العالم كأته غريب عنها، وكان الأولاد يشترون أكفّ (الشوكلاطة) من بيّاع هناك، وكانت تنظر إليهم بعيون يلمع فيها بريق الرّغبة المحرقة، يعقبها خمود اليأس المرير، وجدّتها عاجزة عن شرائها لها من الفقر، فاشتري الشّرخ لها أكبر كفّ من الشوكلاطة وذهب فدفعه إليها، فأشرق وجه العجوز بابتسامةٍ وقالت له كلامًا طويلاً لم يفهم منه سوى (تريما كاسي) أي: (شكرًا) و(بنجاوم عمر) أي: الله يطول بعمرك.¹

ثمّ يعقب الشّرخ على تلك القصة فيقول: " لم أخسر أكثر من أجرة سيّارة أركبها في نزهة أريدها، ولكنّي ربحت من اللذة ما لم أجدّه في مئة نزهة. أحسست أن ما كان في قلبي من الصّيق قد انفرج، وما كنت فيه من الكرب قد زال، وأنه رفع منظر الأسود عن عيني فرأيت بهاء الكون وبياض النّهار، ووجدت العيد ."²

كلمات أندونيسية :

-ناغرا أونوغورو: كلمة أندونيسية معناها (دولة).

وجملة : (بوسبونوغورو) تعني : زهر الدولة .³

-مدفن السلطان(سنان كيري) تعني : عين اليقين .⁴

-تري نيس: تعني (العين الدقّاقة).

-أنجاسمارا: جبل الغرام .⁵

-سنغوساري: الأسد الشّجاع.⁶

¹ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 126/3-127.

² علي الطنطاوي، ذكريات، 127/3-128.

³ ينظر في : علي الطنطاوي، ذكريات، 159/6.

⁴ علي الطنطاوي، ذكريات، 196/6.

⁵ علي الطنطاوي، ذكريات، 198/6.

⁶ علي الطنطاوي، ذكريات، 198/6.

-باتو: تعني الحجر، وهي اسم مدينة في أندونيسيا¹.

-صونغوريتي: أي النبع الحار.²

-كامبير: اسم ساحة وتعني(الاستقلال).³

كياي/كيا : كلمة أندونيسية بمعنى (الشيخ) وبه سمي الكيا الهراسي⁴، وفي اللغة الأعجمية (الكيا): هو كبير القدر المقدم بين الناس.⁵

كلمات ألمانية :

-كلمة (باد) التي تنتهي بها أسماء كثير من المدن في ألمانيا، أصل معناها كما فهم الشيخ علي الطنطاوي، المكان الذي فيه الماء المعدني الذي يغتسل فيه، أي أنها بمعنى (الحمام).⁶

-دانكeshون : كلمة الشكر في ألمانيا .

ولها أيضاً قصة طريفة يرويها الشيخ في ذكرياته وهي أنّ الشيخ قد سمع أنّ الألمان غلاظ القلوب لا يدلّون تائهاً ولا يجيبون سائلاً، فكان الذي وجده غير هذا، فقد أقام في البلد مرّة، فسأل رجلاً فدله فما فهم عنه، فبدّل وجهته ومشى مع الشيخ حتّى أوصله أول الطّريق الذي يقصده . ولما جاء يشكره نسي كلمة الشكر (دانكeshون)، فقال له : (دونكيشوت) فبدت على وجهه علامات التردد بين الطرب لنكته والمعجب من كلامه والغضب فيه، فأدرك الشيخ ذلك فقال له : شكرًا، ثانك يو، ميرسي بوكو، تشكراديرم، لهوت شكري، (بالعربية والإنجليزية، والفرنسية والتركية والأردية) فعرف أنّ لم يكن قصده شرّاً، فضحك وقال له يشكره وكأنّه يعلم الكلمة (دانكeshون)، وصافحه ضاحكاً ومشى⁷.

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 200/6.

² علي الطنطاوي، ذكريات، 200/6.

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 212/6.

⁴ اسم الفقيه الشافعي، صاحب كتاب أحكام القرآن.

⁵ ابن خلكان في ترجمته (الكيا هراسي) في (وفيات الأعيان).

⁶ ينظر: الطنطاوي، الذكريات، 233/7.

⁷ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 248، 247/7.

ثانياً : المصطلحات العربيّة التي ذكرها ووضّحها لشيوعها في زمن معيّن وبلد معين، هي :

-الرّكشة: وهو المركب الشعبي في آسيا كلّها .¹

-الخُجّة: امرأة تعلّم في بيتها، يأتون إليها بالأطفال لتحقّظهم السور أو تلقّنهم حروف الهجاء .²

-فسقيّة: هي طبق من الرّخام المجرّع والحجر المرّي منحوت بيد صنّاع مقرنص الجوانب، ينصبّ فيه الماء من نوافير صغار، ترسم خطوطها متعاطفاً بعضهم على بعض، يكون منها مثل القبّة الصّغيرة، إذا تكسّرت عليها أشعة النّور؛ بدت كأنّها فيها ألفي حجرٍ من الألماس ثمّ ينصت الماء من الجوانب إلى طبق مثله أكبر منه، وكذلك ينتقل الماء من طبق إلى طبق بأبرع صناعة وأجمل فن.³

المشرقة: سطح الدور الثاني.⁴

عريشة: وهي سطح من جذوع الخشب تمتد عروقتها عليها.⁵

جلاء:⁶ يطلقها أهل الشام على (الشهادة المدرسيّة)⁷

الأنموذج: كلمة كانت تطلق على المدرسة في عهد الانتداب.⁸

الحوّارة: كلمة شاميّة تعني: (الطباشير).⁹

الصااية: هي أقمشة تتسج على المنوال وتباع قطعها كل قطعة لثوبٍ واحد .¹⁰

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 253/5.

² علي الطنطاوي، ذكريات، 333 /5.

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 32/1.

⁴ المصدر نفسه ص33.

⁵ المصدر نفسه.

⁶ المصدر نفسه ص83.

⁷ ظلّت مستخدمة إلى أن كتب الشيخ هذه الذّكريات.

⁸ علي الطنطاوي، ذكريات، 115/1.

⁹ علي الطنطاوي، ذكريات، 158/1.

¹⁰ علي الطنطاوي، ذكريات، 192/1.

الديما: الرّخيص من الحرير وما شبهه¹، الاديمجي : صانع الديما.²

الألاجة : الغالي من الحرير، وشبهه.³

الطّيلة: الحاجز من الخشب، واللبن يفصل مشرقتك، أي سطحك، عن سطح الجار.⁴

الصّبحيّة: نزهة الصّباح.⁵

يوك : (مطوى) خزانة في الجدار، لكن بغير باب ومن غير رفوف، تصفّ فيها الفرش المطويّة

بعضها فوق بعض، ويسدل على اليوك ستارة كانوا يعتنون بنقشها وتطريزها.⁶

بدّال⁷: كلمة كانوا يطلقونها (حركة الإخوان المسلمين) عن البقال⁸.

(بابطالله) بالعاميّة، وبالفصحى : بؤابة الله، ويسمّى (باب مصر) وليس في المكان باب من

أبواب دمشق حقيقة، بل هي تسمية مجازية للنهاية الجنوبيّة لحَيّ الميدان من حيث يفارق المرء

دمشق من الجنوب (أو هكذا كان) وسمي تيمناً بسفر الحجّاج من هذا الموضع.

ثالثاً : كلمات يختلف مدلولها باختلاف الجهة التي تمنحها:

تختلف بعض المصطلحات من شعب إلى آخر، فكلمة (شام) : في اللغة : من جنوبي تبوك إلى

جبال طوروس.

وفي العرف : نهر البلدة المقدّسة .

¹ علي الطنطاوي، 2/ 112.

² في اللغة التركيّة النسبة إلى الصناعات تلحقها غالباً جيم قبل ياء النسبة، فيقال : بندقي، كندرجي، وإلى البلدان (بزيادة اللام) فيقال : ازميلي (نسبة إلى ازمير)، وأورفلي نسبة إلى (أورفا).

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 2/ 112.

⁴ علي الطنطاوي، ذكريات، 2/ 112.

⁵ علي الطنطاوي، ذكريات، 2/ 42.

⁶ علي الطنطاوي، ذكريات، 3/ 307.

⁷ علي الطنطاوي، ذكريات، 8/ 267.

⁸ والأصح قول (بقال).

كما يقول المصريون (مصر) لا يعنون بها الإسكندرية ولا أسيوط بل ولا يقصدون شبرا ولا حلوان.

فأهل المملكة والخليج يطلقون اسم الشّام على (بلاد الشّام) عامّة (سوريا / لبنان / فلسطين) وهي (سوريا) عند بلاد الشّام، وهي (دمشق) بلسان السّوريين، وإذا استخدمها أهل دمشق أنفسهم عنوا بها (دمشق القديمة).¹

وكلمة الدكتوراه في فرنسا نوعان : دكتوراه الدولة والدكتوراه التي تعطيها الجامعة، والأولى هي التي تنفرد بالتقدير .

والدكتوراه في ألمانيا لا تكاد ترتفع إلّا قليلاً عن الإجازة (الليسانس أو البكالوريوس) وأعلى منها عندهم لقب (دكتور هابيل) أي: الدّكتور الماهر، والدّكتوراه المجلوبة من أمريكا ألوان وأصناف، تختلف باختلاف الجامعة التي نالها منها.²

رابعاً : تعدد اللهجات:

تتعدد لهجات الأفراد من دولة إلى أخرى ومن مدينة إلى أخرى أحياناً، فتتفرد كل مدينة بلهجةٍ خاصّة، ففي فلسطين مثلاً تختلف لهجة الغزّيّ عن النابلسي عن الخليلي، وفي سورياً تختلف لهجة الحلبي عن الحمصي عن الحوراني، وفي مصر كذلك تختلف لهجة الصعيدي عن الإسكندراني عن البغدادي هذا ونحن بصدد الحديث عن الدولة الواحدة فكيف بنا إذا تحدّثنا عن اختلاف اللهجات بين الدول ؟، إنّ انتقال الشيخ خلال تعليمه والرحل الأخرى (كما أسلفنا سابقاً) جعله يسمع الناس باختلاف لهجاتهم، ومن ذلك :

أولاً : أنّ أهل البدو، والجيش الأردني في الصّحراء، وأهل بغداد ينطقون القاف جيماً فيقولون (جّدام) أي قدام³، وبعض العرب يلفظونها (كاف)، وأهل الشّام ومصر يلفظونها همزة.⁴

¹ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 115/1.

² علي الطنطاوي، ذكريات، 52/7.

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 208/ 5 .

⁴ علي الطنطاوي، ذكريات، 16، 15/4،

ثانياً : اللهجة التونسية / كان للشيخ الطنطاوي شيخ تونسي، وفي لهجتهم يسكنون جميع الحروف ويدمجون الكلمات فيصعب فهمها، وقد ذكر ذلك في قصة : أن أستاذه أخرج طالباً ليترجم له، فقال : (مَلِكٌ عَطَشٌ مَلْقُمًا) أي (مَلِكٌ عَطَشٌ ما لَقِيَ ماءً) سَكَنَ حروفها كلها ودمج كلماته ووصل أوائل تواليها في أواخر تواليها، فما فهم الطالب، فغضب وقال : (نكلموك بالعربي ما تفهمش) .

ثالثاً : أن أهل (القريات) ينطقون كلمة (قهوة) بتسكين القاف، يقول الشيخ وكذلك اليوم كلهم في الشام والعراق والجزيرة العربية، مع أن من سنن العرب الأولين في كلامهم أنهم لا يبدؤون بساكن ولا يقفون على متحرك، ومن الكلمات التي يبدؤونها بساكن (ضلبي) وهو اسم شخص.¹

رابعاً : اللغة الملاوية (أي الماليزية) وهي لغة أندونيسيا، فهي لغةٌ عجيبة سهل تعلمها، يرى علماء اللغة أنها ستكون في الشرق كالإنجليزية في الغرب لسهولة تعلمها كما يقول من يعرفها.²

وهي لغة ليس فيها تصريف وليس فيها ماضٍ، ومضارع، وأمر، بل يأخذون المصدر فيضمون إليه الضمائر والظروف، فإذا أراد المرء أن يقول "أعطي" مثلاً، يقول : (أنا إعطاء)، وإذا أراد أن يقول (أعطيت)، يقول : أنا إعطاء أمس، كما يقول : (أنا إعطاء أنت أمس) مكان (أعطيتك)، والجمع يكون بتكرار اللفظ مرتين، فكلمة (سوادار) مثلاً، معناها (أخ)، فإن قال الخطيب (سوادار سوادار) كان معنى ذلك (إخواني)، والعدد يكون بالأرقام المفردة، فإذا أراد المرء أن يقول (مئة وسبعة وخمسون) قال : (واحد سبعة خمسة)، ولفظ الأعداد من واحد إلى تسعة هو: (ساتو، دوا، سيغا، أنبات، ليما، أوحان، توجو، دوليان، سليلان).

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 3 / 59.

² ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 6 / 154.

الفصل الثالث

التعددية الدينية

لقد شهد الشيخ خلال حياته في الأماكن التي عاش فيها وزارها تعدد الديانات، التي كانت تتعايش غالباً مع بعضها البعض في أمنٍ وأمان، كما أنه شهد تعدد المذاهب في الدين الواحد وأحياناً بشقين مثل الدين الإسلامي الذي تعددت مذاهبه العقائدية والفقهية، وقد ذكر الشيخ بعض هذه المذاهب موضحاً رأيه فيها وذاكراً بعض المواقف التي تعرض لها مع بعض هذه الفرق والطوائف.

أولاً : تعدد الديانات:

1-الإسلام :

لقد كان الشيخ في بداية حياته متعصباً للمذهب الحنفي، لا يقبل ما يخالفه ولو كان حديثاً صحيحاً، ثم ترك ما كان عليه، وكاد أن يتبع الطريقة النقشبندية¹ إلا أنه تركها كما ترك غيرها ثم أصبح سلفياً، إلا أنه انتهى إلى الوقوف عن قول المعصوم (كتاب الله) وسنة نبيه (الحديث الصحيح الثابت) .

ولقد أنكر الشيخ كل ما يخالف ويحارب الإسلام، وكان جهوراً في قول الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، ولطالما تحمّل تبعات جرأته ومواقفه التي بات يسأل الله عزّ وجلّ أن يعطيه أجرها في الآخرة .

¹ هي طريقة تابعة للشيخ بهاء الدين محمد نقشبند البخاري، مدارها تصحيح العقائد ودوام العبادة، دوام الحضور مع الحق سبحانه، ولها طريقتان مشهورتان في بلاد الهند وهما : الباقية والعلائية . ينظر : عارف تامر، معجم الفرق الإسلامية، ص104.

ومن ذلك :

-محاربتة للأممىة والقومىة والإنسانىة موصّحًا أنّها سنّة المستعمرىن فى كلّ زمانٍ ومكان، الذىن يعملون على قطع رابطة الإىمان بىن المسلمىن وربطه بروابط الجاهلىة، قانونهم (فرّق تسد)، وعملهم كسر الحزمة عودًا عودًا لمّا عجزوا عن كسرها جملةً واحدةً.¹

-انتقاده لتفرّق المسلمىن، فىقول : المسلمون أمّة واحدة لكنّهم انقسموا حتّى صاروا جمعىة أمم، كان لهم دستور واحد ومنهجّ واحد يتّبعونه أفرادًا وأسر وجماعات وحكومات، وكان لهم منهجّ فصارت لهم مناهج ما صنعتها عقولنا ولكن ألفنا شركات (استيراد وتصدير) فاستوردت القوانين لمحاكمتنا واستوردت المناهج لمدارسنا واستوردت الأزياء لنسائنا، ولكنّها لم تصدر شىئًا من فضائلنا إلّا ما قبسه العقلاء الأذكىاء منهم من مبادئ دىننا الذى دخلوا فىه أفرادًا وسىدخلون بإذن الله فىه أفواجًا.²

وصار ممّا من المسلمىن ممن فىقول نحن المسلمىن من خدع بالماركسىة أو بالوجودىة أو بالفسوق الذى سمّوه الحرىة. صار ممّا من يتّخذ قبلته البىت الأحمر أو البىت الأبىض أو البىت الأصفر، مع أنّ قبلتنا هذا البىت بثوبه الأسود....إنّه فى مكّة لا فى موسكو ولا واشنطن ولا بكىن.³

-أنكر وحدة الوجود التى قال بها ابن العربى⁴، وقال إنّ الكتب التى حوتها لا تقلّ كُفرًا عن كفّار قرىش، فقام علىه مشايخّ من مشايخه، فكان بىنه وبىنهم مناظرات قال فىها أنّ ابن العربى من أعظم كتّاب العربىة ولكن يفسده وىذهب خیره ما فى كلامه من ممّا لا ىشكّ فىه أنّه كفر، وأنّه

¹ فىنظر : على الطنطاوى، ذكرىات، 129/ 1.

² فىنظر : على الطنطاوى، ذكرىات، 129/ 3.

³ على الطنطاوى، ذكرىات، 129.9/3

⁴ هو محىىى الدىن أبوبكر الطائى الأندلسى (560-638هـ)، المعروف بابن عربى، شاعر وفىلسوف، وأحد أكبر الصوفىة وإلىه تنسب الطرىقة الأكبرىة الصوفىة، ترك مؤلفات كثرىة، وغدت تعالیمه فى مجال الكون ذات أهمىة كبرىة فى عدّة أجزاء من العالم الإسلامى. فىنظر : محمد جمعة، تاریخ فلاسفة الإسلام، ص291-292.

أخذ الأفلاطونيّة الجديدة لأفلوطين فجعلها من الدين، واقترح إعادة طبع كتابه (الفتوحات) بمحو هذا كلّه (وهو لا يبلغ عشر الكتاب) ويكتب على غلافها (مهذّب الفتوحات).¹

-أنكر فعل بعض المشايخ الذين كانوا يأخذون كل لحن يسمعون، ولو كان لأغنيّة غرامٍ مبتدلة فيؤلفون كلامًا سخيّفًا يزعمون أنّه في مدح الرّسول(صلى الله عليه وسلّم)، وقد أنكر ذلك في الصّحف والمنابر وفي الإذاعة² من أربعين سنة³ وأعاد إنكارها في ذكرياته .

- أنكر لناصر الألباني تفقّهه وآراءه التي يخالف فيها جمهور العلماء من الفقهاء .⁴

-أنكر عادة قيام بعض المؤذنين بأنهم يأتون بعد صلاة العشاء بابتهاالات وأناشيد نبويّة وقال إنّها (بدعة).⁵

-حدّر من البنغسيلا⁶، وهي إحدى حملات التبشير التي تدعو إلى دين جديد، بينى على خمس بدلاً من الخمس التي بني عليها الإسلام، وخمسهم الإيمان بالله الواحد الأحد، والإنسانيّة العادلة المتحضّرة، ووحدة أندونيسيا القوميّة، وسيادة الشعب والعدالة الاجتماعيّة.⁷

2-التّصارى :

كان هناك تعايش بين المسلمين والمسيحيين في الفترة التي عاشها الشيخ كما ذكر في ذكرياته خاصّةً في الشّام وفلسطين، والذي يدلّ على ذلك :

¹ ينظر :علي الطنطاوي، ذكريات، 183/1.

² ينظر، علي الطنطاوي، ذكريات، 85/1، 86.

³ أي يوم كتب هذه الذكريات .

⁴ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 94/1.

⁵ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 107/ 1.

⁶ (بنغا) : كلمة فارسيّة الأصل معناها خمسة، يستعملها الذين يلعبون النرد، و(سيلا) : بمعنى ركن أو دعامة،

فالبنغسيلا هي (الأركان الخمسة) . ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 280/6.

⁷ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 280/6.

- وجود جامعات وأحياء ومدارس خاصة بهم، مثل : حي الجبيلة في دير الزور الذي كان فيه قوم من النصارى¹، كما أنه ذكر وجود أحياء مسيحية في حيفا في فلسطين سنة 1948م.²

- النصرانيات في الشّام، يقول الشيخ :

"ولقد عرفت من نساء بلدي وأنا صغير بالملاءة، حتّى أنّ النصرانيات واليهوديات في الشّام لا يخرجن بغيرها، وكلّ ما يصنعن أنّهنّ يسفرن عن وجوههن فتعرف بذلك النصرانية من المسلمة".³

-المسؤولون والمدرسون النّصارى:

يقول الشيخ: أنا من يوم أدركت ما حولي، أرى النّصارى في بلدي يعيشون كما يعيش المسلمون، لهم من الثّمرات والخيرات مثلنا، بل ليس لنا في الحقيقة مثل الذي لهم منّا !

ما ظلمنا يوماً واحداً منهم، وإن كانت مناصب أحلّناهم في أرفعها وأعلاها، حتّى إنّ مدير المدرسة الابتدائية التي كنت أدرس فيها في أوائل العشرينيات من هذا القرن في حي المهاجرين، وهو حيّ إسلامي وباب المدرسة يقابل باب المسجد وتطلّ مئذنته عليها ويسمع أذانه فيها، كان مديرها نصرانياً وكان له زملاء من النّصارى وكنا نبرّه ونقسط إليهم .

بل إنّ أستاذنا (فارس خوري) وليناه رئاسة مجلسنا النّيابي ورئاسة حكومتنا ولم نأب ذلك عليه لأنّه لم يكن من ديننا، ولا أقول إنّ ذلك جائز أو مشروع ولا أفتي بمثله ولكن أقول ما كان.⁴

3-اليهود :

أمّا عن اليهود فقد كان هناك تعايش معهم أيضاً في الشّام وفلسطين، ومن ذلك ذكر الشيخ أنّه كان في بلده (النّصرانيات واليهوديات)، وذكر وجودهم في المدارس، وقد وضّح الشيخ أنّ آثار اليهود بدأت تزيد في فلسطين عام 1947م، حتّى إنّ البلدية كانت تنظّف الأحياء اليهودية

¹ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 4 / 198.

² ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 5 / 93.

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 8 / 296.

⁴ علي الطنطاوي، ذكريات، 7 / 366-367.

وتهمل الأحياء الإسلاميّة!¹، هذا عن اليهود الذين كانوا يتبعون الديانة اليهودية إلا أنّ الأمر انقلب عام 1948، عندما احتلت الحركة الصهيونية الأراضي الفلسطينية وهجرت أهلها وقتلت رجالها وأطفالها ونساءها ودمّرت قراها، وداست على حرمتهم، ومنعتهم من دخول الأماكن المقدسة، وجعلتهم لاجئين يسكنون الخيام وفرقت شملهم فأصبح كلُّ منهم في بقعة لا يحلم فيها سوى العودة إلى الوطن .

وقد شهد الشيخ القضية الفلسطينية من أولها، وسعى في خدمة هذه القضية، وقد طاف بلاد العالم يشرح لهم عن أهميتها ويدعوهم لمساعدة هذا الشعب الذي ظلم وقهر، ويذكّره بأنّها قضية المسلمين أجمعين وليست قضية الشعب الفلسطيني وحده .

ثانيًا : تعدد المذاهب العقديّة :

إنّ من أعظم المظاهر التي كانت وما زالت تواجه الدّين الإسلامي كما أوضحها الشيخ علي الطنطاوي في كتاباته هي تفرّق المسلمين وعدم اجتماعهم على كلمة واحدة، ومنها تعدد المذاهب العقائديّة، حيث تتبنّى كلّ جماعة فكر شخص معيّن يسرون وراءه مقتدين به، ملتزمين منهجه، مطلقين اسم جماعتهم باسمه غالبًا، ومن هذه المذاهب :

1- الصوفيّة: هي حركة دينيّة انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث هجري، تدعو للزهد وشدة العبادة تعبيرًا عن فعلٍ مضادّ للانغماس في الترف²، ثمّ تطوّرت حتّى صارت طرقًا متعددة، التي يعتقد أكثر الباحثين أنها أنشئت في القرن السادس هجري³، الذي كان يعيش صراعات سياسيّة داخلية وخارجية، وخصومات دينيّة مذهبيّة أفضت إلى مزيد من توهين الأمة، ومزيد من تفكيك النسيج الاجتماعي الديني، وقد أدّى هذا الوضع المضطرب إلى البحث عن مشاريع إصلاحية دينيّة وأخلاقيّة وسياسية عسكرية، ولعلّ هذه التجمعات الصوفيّة كانت تمثل واحدًا من هذه المشاريع، التي استلهمت مشروع الغزالي الإحيائي لعلوم الدّين قولًا وعملاً⁴، فبدى ظهور تجمعات صوفيّة والتفافها حول شخصيّة صوفيّة قياديّة،

¹ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 93/5.

² عبدالله السهلي، الطرق الصوفيّة ونشأتها وعقائدها وآثارها، ص10.

³ ينظر : أمين عودة، التصوّف في بلاد الشّام : الإسلام النائم التصوّف في بلاد الشام، ص20 .

⁴ ينظر : المصدر نفسه ص21.

همّها التزكية والإرشاد والتربية تطورًا طبيعيًا يتّسق مع ازدهار التصوّف نفسه، وكثرة المنتسبين إليه¹، ولا شكّ أن بعض هذه الطرق حادت عن هذا الطريق وخالفت الشرع بأشياء كثيرة منها ما وصل إلى مخالفة العقيدة نفسها ! .

ويعرّف الصوفيون الطريقة بأنّها: "السيرة المختصّة بالسالكين إلى الله -تعالى- من قطع المنازل والثّرق بالمقامات². وقيل الطريقة هي: "مجموعة من الأفراد ينتسبون إلى الشيخ ويخضعون لنظامٍ معيّن في السلوك الرّوحي، ويجتمعون دوريًا في مناسبات دينيّة، ويعقدون مجالس علم وذكر، وسماع بشكل منتظم"³، وهي عهد ما بين الشيخ ومريده يقوم على التزكية والاستقامة وذكر الله، سبحانه وتعالى، والعمل بأداب الطريقة مع القيام بالأوراد والأحزاب التي يحددها الشيخ وغالبًا ما كانت الطرق تأخذ أسماء مؤسسيها .

لم يكن الشيخ الطنطاوي بعيدًا عن الصّوفيّة، فقد كانت منتشرة في الشّام وكان أكثر شيوخه من أهلها، لكنّه لم يقبلها كلّها ولم ينخرط فيها، إلّا أنّه لم يحكم عليها حكمًا واحدًا فقد ذكر إنّ منها من لم يخالف الشريعة مثل (مدارج السالكين)⁴، ومنهم من خالفه الشيخ في بعض المسائل الفقهيّة مثل الشيخ (محمد حامد) الذي قال عنه أنّه "كان صادقًا مع الله صادقًا مع نفسه"⁵ ومنهم من مال عن الطريق مثل الشيخ (العيطة) الذي قال عنه الطنطاوي أنّه "صوفي خرافي".⁶

ومما رآه الشيخ من الصّوفيّة وكان مخالفًا للشريعة : طريقتهم في ذكر الله، يقول الشيخ :
" وتمرُّ على زاوية فترى قومًا يرقصون ويقفزون ويصيحون بأفطع الأصوات وأنكرها، فتسألهم منكرًا : ماذا يفعلون ؟، فينبؤونك أنّ هذا هو ذكر الله !

¹ ينظر : المصدر نفسه، ص20.

² عبدالله السهلي، الطرق الصوفيّة ونشأتها وعقائدها وآثارها، ص9. علي الجرجاني، التعريفات، ص141.

³ مشهور الحباري، الطرق الصوفيّة في فلسطين: الإسلام النائم التصوّف في بلاد الشّام، ص62-63.

⁴ كتاب شمس الدّين ابن القيم الجوزيّة .

⁵ علي الطنطاوي، ذكريات، 5 / 168 .

⁶ علي الطنطاوي، ذكريات، 1 / 106.

وتجتاز في ليالي الوداع من رمضان على مسجد بني أمية فترى وسطه أناسًا قد لبسوا
قلانس طوَالًا وأثوابًا كأنها المخاريط الناقصة يدورون على أنفسهم فتحسبهم ذوي جنة،
ولكنهم يزعمون (ويقرّ بعض الناس زعمهم) أن هذا من الدين وأنّ أبا بكرٍ فعله !
لا والله أيّها القوم، ما كان الدين هزؤًا ولا لعبًا ولا كان أبو بكرٍ معتوهًا ولا مجنونًا، ولكنكم
1...

إذن لم تكن الصّوفيّة منهجًا واحدًا، فمنها ما كان يسير مع الشريعة ولا يخالف الكتاب
والسنّة، ومنها من مال عن الجادة العريضة (الكتاب والسنّة والفقّه المستمد منهما) وسار
في بنيات الطريق² فخالف الشرع وضل وأضلّ.

ومن فرق الصّوفيّة:

-النقشبندية: كلمة فارسيّة من مقطعين، هما : النقش وتعني الحفر . والبند : يعني الحجر .
وهذا يعني أنّ النقشبندي تعني : النقش على الحجر . وهو حفرٌ لا يتأثر بالعوامل الطبيعيّة،
فلا يندثر . والمعنى الباطني هو: أنّ كلمة الله، سبحانه وتعالى، محفورة في قلوب المريدين
حفرًا غير قابل للزوال مع مرور الزمن³

وتنسب هذه الطريقة إلى أبي بكرٍ الصديق، رضي الله عنه، إذ يعتبره أصحابها المؤسس
الأول، ويرجعونها إلى أنّ أبا بكرٍ خلف رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، في علمه وهديه،
ويستدلون بحديث: " ما صبّ الله في صدري شيئًا إلّا وصبيته في صدر أبي بكرٍ"⁴ إلّا أنّ
هذا الحديث موضوع.

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 1/ 411.

² أي : الطرق الصّغيرة المشبعة من الطريق الرئيس. جبران مسعود، معجم الرائد، ص182 .

³ مشهور الحبّازي، الطّرق الصّوفيّة في فلسطين : الإسلام النائم، ص111-112. سهير قاسم، الطرق
الصّوفيّة، ص106.

⁴ محمد درنيقة، التّصوّف الإسلامي - الطريقة النقشبندية وأعلامها، ص10.

أما مبادئها وأسسها فتنسب إلى أربع شخصيات هم : سلمان الفارسي، وأبو يزيد البسطامي،
وعبد الخالق العجدواني، ومحمد بهاء الدين البخاري المعروف بشاه نقشبند.¹

وإن كان عبدالله السهلي قد ذكر في كتابه² أنّ النقشبندية يصرّحون بالشرك الأكبر في توحيد
الربوبية والألوهية، وأنّ أكثرهم يقول بوحدة الوجود ويميل إلى الرفضة³، إلا أنّ الشيخ
الطنطاوي ذكر أنّها من أقرب الطرق إلى الاعتدال وأبعدها عن المخالفات . ولقد رأى الشيخ
كثيراً من مدرّسيها الأكراد قبيل الحرب العالمية الثانية في (كركوك العراق) منهم : الشيخ
علاء الدين، والملا أفندي، وأبو النصر خلف⁴، ولقد كان لهذه الجماعة (تكايا)، كلّ تكيّة
منها أو رباط أو مسجد أو مطعم، تبقى مفتحة الأبواب لكلّ قادم عليها، تعطيه ما يريد وتقدّم
إليه ما يطلب، إن طلب علماً وجد فيه العلم وإن كان مطلبه المنام والطعام وجد فيه الطعام
والمنام.⁵

-المولوية⁶: طريقة صوفية منسوبة إلى جلال الدين الرومي وهو شاعرٌ كبيرٌ في اللّغة
الفرنسية يعدّونه من كبار الشعراء الصوفية، ولكنّ طريقته لا أصل لها في الشّرع ولا وقوع.

ومما أنكره الشيخ من صنيعهم: أنّهم كانوا في ساعة السحر من السّابع والعشرين من
رمضان، يدورون ويرقصون رقصاً يعجز عن مثله الراقصون المحترفون، وذكر الشيخ أنّهم
كانوا وهم صغار يرونه شيئاً عظيماً ويحرصون عليه ويتسابقون إليه!⁷

¹ ينظر: المصدر نفسه، ص11.

² هوكتاب الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها .

³ ينظر : عبدالله السهلي، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، ص91.

⁴ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 1/ 255.

⁵ علي الطنطاوي، ذكريات، 5/ 225.

⁶ ظهرت في بلاد الأناضول بتركيا اليوم، ومنها انتشرت في بلاد الشّام وباقي العالم الإسلامي . ينظر : عبود
العسكري، تاريخ التّصوّف في سوريا، ص263، أمين عودة، التّصوّف في بلاد الشّام : الإسلام النائم،
ص28.

⁷ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 7/ 188 .

"وهم يتّخذون إزارًا ضيقًا من أعلاه عند الخصر واسعًا من تحت، ثم يدورون فيه لا دورة ولا دورتين، ولا تستمرّ دوراتهم دقيقة ولا دقيقتين، بل يصير مثل المخروط الناقص في الهندسة، وعلى رؤوسهم قلانس طويلة مثل علب اللين".¹

2-السلفيّة : هم فريق من أئمة الإسلام، رأوا أن يردوا كل ما يتعلّق بالعقيدة الإسلاميّة إلى طبيعتها الأولى حسب ما كانت عليه في أيام الصحابة والتّابعين فلا يأخذونها إلّا من معيها الأصلي ومنابعها الأولى، أي من الكتاب والسنة، فنهج هؤلاء الطريقة التي كان يتّبعها السلف الصّالح ولذلك أطلقوا على أنفسهم (السلفيين).²

هذا أصل الجماعة، إلّا أنّ هناك فئة ادّعت أنّها من السلفيين، قامت بما يخالف السلف الصّالح وقد أنكر الشيخ صنيعهم، فقال : " وتكلّمْتُ عمّن يدّعي أنّه سلفي فيحارب المذاهب³، ولا أدري والله كيف يدّعون الأخذ بالحديث وهم لا يعرفون صحيحه من ضعيفه، وموضوعه من مرفوعه ، وممّن يدّعون أنّهم مقلّدون وأنّ المقلّد لا صلة بينه وبين كتاب ربّه وسنة نبيّه إلّا هؤلاء الأئمة، ويرون أنّهم أضعف من أن يفهموا حديثًا واضح اللفظ بيّن المعنى، كأنّ الحق ضاع بين الفريقين، وهناك من يرى التقرّب إلى الله باللجوء إلى قبر وليّ من الأولياء يطوف به ويقبل أعتابه".⁴

الوهابية :

يعتبر المذهب الوهابي امتدادًا لمذهب السلفيين الذين كان على رأسهم أحمد بن تيمية، ولكنّه اتخذ هذا الاسم نسبةً إلى منشئه (محمد بن عبد الوهاب)⁵ الذي تشدّد في بعض الأمور التي لم يلتفت إليه أستاذه، كهدم شواهد القبور وشرب القهوة، وشيء آخر خالف فيه محمد بن عبد الوهاب شيخه ابن تيمية، ذلك أنّ مؤسس مذهب السلفيين كان يعمد إلى نشر منهجه لكتابة

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 7/ 189.

² مصطفى الشكعة، اسلام بلا مذاهب، ص499.

³ المذاهب الأربعة (الحنفيّة، المالكيّة، الشافعيّة، الحنبليّة).

⁴ علي الطنطاوي، ذكريات، 1/ 412.

⁵ مصطفى الشكعة، اسلام بلا مذاهب، ص504.

الرسائل والتأليف والمحااجة والمناقشة، أما محمد بن عبد الوهّاب فقد عمد إلى نشر دعوته بالسّيف¹.

ومن الذين اتبعوا السلفيّة التي دعا إليها (الشيخ محمد بن عبد الوهّاب) : أهل الزبير، تبعد عن بصره 25 كيلاً، وأكثر أهلها من نجد.²

ويقول الشيخ أن الوهابيّة كانت تهمة مخيفة في الشّام، ولقد عوقب مرّة ؛ لأنّهم أمسكوه بالجرم المشهود في حلقة الشيخ عبد القادر بدران³ صاحب المدخل^{4.5}.

ويقول الشّرخ إنّّه ليس في الدّنيا مذهب اسمه المذهب الوهّابي، وإنّ ما دعا إليه الشّرخ (محمد بن عبد الوهّاب) هو الرّجوع إلى الكتاب والسّنة وإنّه كان حنبلي المذهب، لم يأت بجديد ولم يبتدع بدعة، ولكنّ المصيبة في إقناع العوام .

3- الشّيعه : هم جماعة ذهبوا إلى أنّ التّشيع عقيدة دينيّة خالصة، تقتصر على أنّ إمامة عليّ للمسلمين إمامة حتميّة يفرضها الدّين وتحتّمها العقيدة . ومن هنا ذهب أكثر الشّيعه إلى أنّ خلافة أبي بكرٍ وعثمان كلّها باطلة، بل إنّ من الشّيعه الغالية من كّفّر الثلاثة الكرام (رضوان الله عليهم).⁶

وقد رأى الشّرخ الطّنطاوي الشّيعه في بغداد، عندما كان يتجوّل هو ورفاقه في يوم عاشوراء حيثُ قدّمه أحدهم في مجلسٍ كانوا يبكون ويضربون أنفسهم لذكرى قتل الحسين، فتشّهّد الشّرخ وظنّ

¹ ينظر : مصطفى الشكعة، اسلام بلا مذاهب، ص504.

² ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 49/4.

³ هو: عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن بدران الدمشقي، ولد بدما في دمشق سنة (1280هـ -1864م)، ونشأ وتعلّم علومه الأولى فيها، ثمّ أكمل تعليمه في المدرسة الأشرفيّة للحديث بدمشق فأخذ علوم الشرع واللّغة العربيّة على كبار شيوخ دمشق وعلمائها، ثمّ اتّبع المذهب الحنبلي . ينظر : أدهم الجندي، أعلام الأدب والفن، 224/1.

⁴ (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل)

⁵ ينظر : علي الطّنطاوي، ذكريات، 106/1.

⁶ ينظر : دين بلا مذاهب، ص169-170.

أنه يموت، إلا أن الله رحمه ولم يسمع ذلك الشيخ ما قاله عنه عندما قدمه أنه ألف كتابي أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما).¹

ولقد كان من أمر المتشيعين أنهم تفرقوا وانقسموا إلى فرقٍ عديدة، منها : السبيئة، والثاويون، والكيسائية، والمغيرية، والإسماعيلية وغيرها، إلا أن الشيخ الطنطاوي لم يذكر في ذكرياته سوى الإسماعيليين² الذي رآهم في السلمية، الذي قال عنهم أنهم "من أتباع آغا خان، ينظرون إليه نظرة تقديس ويعاملونه معاملة عبادة".³

ثالثاً-تعدد المذاهب الفقهيّة :

لم تنحصر التعددية الدينية على تعدد المذاهب العقديّة، بل تمددت إلى التعدد في المعتقد الواحد، فالقساوسة في ألمانيا مثلاً انقسمت إلى بروتستانت وكاثوليك، أما عن الدين الإسلامي، فقد انقسمت المذاهب الفقهيّة إلى أربعة مذاهب، وهي : المذهب الحنبلي، والحنفي، والشافعي، والمالكي، ولا بدّ إلى الإشارة إلى أن بعض الناس اتجهوا إلى الاعتدال وأخذوا الأصحّ من كلّ مذهب، ومنهم من توغّل وتشدّد وتعصّب لمذهبٍ معيّن . ومن مظاهر هذا التعدد :

- في الشام " في صلاة التراويح في المسجد الأموي، كان يؤمُّ أربعة أئمة يصلون في وقتٍ واحد، ووراء كلّ إمام مبلغ من أصحاب الحناجر القويّة، والأصوات النديّة، فتختلط أصواتهم فيسمع المفتي تكبيرة الانتقال من غير إمامه فيسجد وإمامه قائماً، حتّى جاء مدير الأوقاف...فوحّد الجماعات، وجعل الإمامة كلّ ليلة لإمام، هذا الذي لا يرضى غيره الإسلام".⁴

-أنه كان للأموي أربعة محاريب : محراب الخطيب وهو الكبير، وإلى جنبه المنبر وهو للحنفيّة، ومحراب الشافعيّة وهو الذي يليه من جهة الغرب، ومحراب المالكيّة وهو في أقصى الشرق من جدار القبلة، والحنايلة وهو أقصى الغرب .

¹ ينظر : علي الطنطاوي، الذكريات، 379/3.

² هم من الفرق الشيعيّة التي جنحت إلى الغلو أكثر من ميلها إلى الاعتدال، وإنما سمّيت (الإسماعيلية)نسبة إلى اسماعيل بن جعفر الصادق .

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 238/2

⁴ علي الطنطاوي، ذكريات، 118/3.

-أما عن الفتوى، فقد كان في الشّام أربعة مفتين رسميين للمذاهب الأربعة : المفتي الأكبر وهو مفتي الحنفيّة، لأنّه كان المذهب الرسمي للدولة العثمانيّة، وهو الشّيخ أبو اليسر، والسّيد مكي الكتّاني مفتي المذهب المالكي، والفقيه الحنبلي الشّيخ حسن الشّطي، والشافعي الشّيخ صالح العقّاد .

الفصل الرابع

التعددية الاجتماعية والسياسية

أولاً : فئات المجتمع في البلاد العربية :

إنَّ اختلاف النَّاس في أحوالهم الاجتماعية والفكرية والعقلية لهومن السنن الكونية، لذا نجد أنَّ كلَّ مجتمع مقسَّم عدَّة تقسيمات اجتماعية ومنها سياسية، فكلَّ مجتمع يحوي عدَّة طبقات ما بين الأغنياء والفقراء، أما السياسة فهي تلعب دورها في تقسيم النَّاس إلى أعراق متعددة لمصالح خاصَّة بعيدة عن مصلحة المجتمع .

ولم يتطرق الشيخ الطنطاوي كثيراً في ذكرياته عن تقسيم المجتمع إلى طبقاتٍ مختلفة، إلاَّ أنَّه ركَّز على وضع النَّاس الاجتماعي والاقتصادي في الحروب والأزمات، ولم يخصص الحديث عن الطبقات الاجتماعية إلاَّ في موضعين :

أولاً: ذكر أنَّ النَّاس في الشَّام كانوا ثلاث طبقات، منهم الأغنياء والموسرون، والعلماء المستورون (الطبقة المتوسطة)، والفقراء المعدومون، وكان الشيخ من الفئة الثانية.¹

¹ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 165/1.

ومن مظاهر الغنى في تلك الأيام (الأتاتان)١، يقول الشيخ علي الطنطاوي عن أحد شيوخه وهو (الداودي):"وكان يأتي المدرسة على أتاتان (حمامة)، وكانت يومئذٍ للعلماء كالسيارة اليوم¹ للأغنياء".²

ثانياً: ذكره لسكان ملايا العرب، حيث قال: "أكثرهم من الحضارمة، وهم طبقات : منهم العلويون الذين يقولون إنهم سادة أشراف، ومنهم من ليس له مثل هذه الدعوى".³

أما عن التقسيمات العرقية، تقسيم الشعوب إلى أتراك وأكراد وعرب، يقول الطنطاوي عن (الدونمة) : "فهدم هؤلاء ما بنى بنو عثمان ونسوا أولم يعلموا أن الإسلام لا يفرق الناس للألسن ولا للألوان فأرادوا((تترك العناصر العثمانية)) فبدؤوا - بهذه- الفتنة التي جعلت الأمة، أمة محمد هيئة أمم، حين قالوا (ترك) فقال ناس منا (عرب) وقال الفرس قال الأكراد، وكانت عودة إلى الجاهلية!⁴

ويكمل الشيخ : " مع أننا ما كنا نفرق في معلمينا وفي رفاقنا بين عربي وتركي وكرد، ولا الإسلام يسمح لنا أن نفرق " ⁵ ثم أوضح أن هذه الفتنة بدأت تتلاشى بعد ذلك، إلا أن آثارها موجودة إلى اليوم !.

ثانياً : العادات والتقاليد:

إن من أكثر ما يُظهر التعددية الاجتماعية بين الشعوب والمجتمعات اختلاف عاداتهم وتقاليدهم، حيث يتميز كل شعب ومجتمع بعاداتٍ وتقاليدهم مختلفة عن غيره، ولقد رأى الشيخ "علي الطنطاوي" من اختلاف العادات والتقاليد الكثير، وذلك بحكم تنقله بين البلدان والفترة الطويلة التي عاشها وهي تسعون عاماً، فالعادات تتغير أيضاً بتغير الأجيال .

¹ أي يوم كتابته الذكريات.

² علي الطنطاوي، ذكريات، 165/1.

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 131/6.

⁴ علي الطنطاوي، ذكريات، 54/1 .

⁵ المصدر نفسه .

ومن العادات التي شهدها:

- عادة الدردشة : وكانت من عادات النساء في الشام قديماً، يقول الشيخ في ذكرياته : "كان من سنن النساء في الشام أنها مهما طالّت الزيارة، وامتدّ الحديث فلا بدّ للزائرات من وقفة وراء الباب للدرجة (الدردشة)".¹

- الغيرة على شرف المرأة : وأصل هذا من الإسلام، قال رسول الله، صَلَّى الله عليه وسلّم، معلّقاً على قول سعد : " لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفّح"، فقال رسول الله (صَلَّى الله عليه وسلّم) : " أتعجبون من غيرة سعد فو الله لأنا أغير منه والله أغير منّي ".²

ومما ذكره عن الغيرة أنّ امرأة تعرّض لها الفرنسيون، فجعلها تتلفت مذعورة تستغيث والنّاس ينظرون إليها وإلى الجنود المسلّحين وإذا ببياح كبير السنّ قد اعترته حالٌّ كأنها الصدمة الكهربائية فوقف ينادي بصوتٍ تحسّ منه لزع النّار وفورة الدّم : ويلكم أما عاد فينا دين ولا شرف ؟

ثمّ يأخذ العصا الذي يفتح بها غلق الدّكان ويقفز ويهجم بها على الجنود والمسلّحين، وتستيقظ القوّة المدّخرة في أعصاب النّاس فيهمجوا معه، يهجمون بأيديهم فينزعون من الجند سلاحهم وينقذون المرأة، ويرطن الجنود مستخزين متوسلين يشيرون بالتوبة، فيدعهم النّاس ينصرفون .³

وكان كلّ ذلك من إرهابات الثورة الكبرى، وكانت إحدى الدلائل على أنّ هذه الأمة أمّة محمد، قد يغلب على أمرها ولكنّها لا تنذل .

- اجتماع الأسرة الكبيرة في دار واحدة :

يقول الشيخ : " وكان من عادة أهل الشام أيضًا، أنّهم كانوا يحرصون على اجتماع الأسرة كلّها في الدّار الواحدة، الجدّ والجدّة والأولاد وزوجاتهم وأبناء هؤلاء الأولاد وبناتهم، لكلّ منهم جانب هذه الدّار الواسعة، وكلّهم يأكل من قدر واحد، تغرف كلّ أسرة صغيرة وتذهب بطعامها إلى

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 37/1.

² حديث صحيح، أخرجه بخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي لا شخص أغير من الله، رقم (7416).

³ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 134-133/1.

غرفتها، وكان عمل الدار مقسم بين نساءها، لكل واحدة يوم في الأسبوع أي يومان أو ثلاثة، تبعًا لكثرتهم أو قلتهم، وإذا اجتمعوا عند الجدّ قعدوا متأدبين خاشعة أصواتهم، لا يخالفون له أمرًا، ولا يجروون عليه بطلب، ولا يبدؤونه بحديث، بل إنني سمعت من أبي (كما سمعت عنه من أصحابه) أنه لا يعرف ما لون عينيّ أبيه لأنّه لم يرفع بصره إليه قط! ¹

-عادة الأزياء واختلافها بين الشعوب :

في الشام : كانت الأقمشة تنسج على المنوال وتباع قطعًا، كلّ قطعة لثوب واحد، تسمّى (الصّاية)، منها الرّخيص المصنوع من القطن ونحوه وهو (الديما)، والغالي من الحرير وشبهه وهو (الألّاجة) وهو القماش المخطط اللّماع الذي تصنع منه (قفاطين المشايخ) في مصر، وكانوا يلبسونه في الشام في الأعياد. ²

وتتعدد فيه ألوان القماش والخطوط المرسومة على القماش وأشكال هذه الخطوط فيكون منه عشرات وعشرات من الأنواع، وهومتين يكاد يعيش مع لابسها شطر عمره ولا يبلى. ³

في دهلي : ذكر الشيخ فيما ذكر عن دهلي أنّها معرضٌ عجيبٌ لكلّ ما يتصوّر الإنسان من ألبسة وأزياء، فترى امرأة قروية مسلمة قد لبست كيسًا حقيقيًا معلقًا برأسها، يخفي كلّ شيءٍ من جسمها حتّى يديها، ويمسّ وجه الأرض فيستر قدميها، وأما عيونها كوّتان بمقدار العين قد أسدل الكيس عليها. ⁴

وزيّ آخر وهو الزّي (البنجاني)، وهو الزّي الشائع للمسلمات ولا سيّما في باكستان، وهو مؤلّف من سروال طويل كسراويل المنامة ⁵، فوقه قميصٌ إلى الرّكبتين ومنديل (خمار) من قماش يستر الرأس وهم يتفننون في ألوان هذا الزّي افتتاحًا. ⁶

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 189/1-190.

² ينظر، علي الطنطاوي، ذكريات، 192/1.

³ . ينظر، علي الطنطاوي، ذكريات، 192/1.

⁴ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 280/5.

⁵ تعني: البيجامة .

⁶ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 280/5 .

وثالثة تلبس الساري، وهو قماش غير مخيَّط يلفّ لفاً على الجسد يستر إحدى الكتفين أو أكثر الظهر ويترك البطن حول السرة مكشوفاً، ويعرف بالزّي البنغالي، و هو في الأصل لغير المسلمات، ولكنّ الشيخ ذكر أنّه رأى بعض المسلمات يتخذنه. والساري أنواعٌ متنوّعة وأشكالٌ مشكلة، منه ما يبلغ ثمنه الآلاف.

أمّا عن الرّجال فهم يلبسون الشراوني، وهو الذي أصبح فيما بعد اللّباس الرسمي لباكستان. ومنهم من يتّخذ العمامة الضّخمة جدّاً ويطيّل لحيته، وهو لباس السيّك (الشيخ).

أمّا عن (علماء المسلمين) فإنّهم يتّخذون في الهند قميصاً واحداً يبلغ الرّكبتين تحته لباس (سروال) طويل، وعلى الرّأس طاقية صغيرة وكلّ ذلك من الخام أو الكتّان .

ومن الرّجال من يتّخذ الزّي الإفرنجي ولكنّه يلبس على البنطال قميصاً ينسدل عليه من فوقه بدل الرّداء الذي لا يحتمل في الحرّ.¹

في أندونيسيا : النساء يلبسن ثياباً ضيّقة مشقوقة من الجانبين، تكشف عن السيقان والأفخاذ، أمّا الرّجال فاللباس الأوروبي حلّهم بيضاء .²

- عادة الفلق أو الضرب في المدارس :

وهذه من العادات التي وجدت في الشّام وقد ذكر في ذلك الشّيخ موقفاً حدث له عندما كان يدرس في المدرسة التّجارية، وكان أبوه آنذاك مديراً لها، يقول : " ولم أكن أمتارُ من التلاميذ إلّا بأني كنتُ آكل أحياناً في غرفة في مدخل المدرسة، هي غرفة الفرّاشين، وكنتُ آكل رغيفاً وسطه لحمٌ مشويّ أمر لي به أبي وكان في غرفة الإدارة ولُدّ رجلاه في الفلق والخيزران ينزل عليهما، فدعي بي وأخذتُ من وسط طعامي وربطتُ بالفلق وكانت علقة أقسم بالله أنّي لم أعرف سببها إلى الآن!³

¹ المصدر نفسه .

² ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 126/6.

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 46/1.

وقد كان يغلب على هيئة المعلم وشخصيته الجدّية والعصبية والعنف أحياناً، حتّى إنّ الشيخ ذكر في أحد المواقف أنّ أحد الشيوخ غاب فأحضروا طالباً من طلاب الفصول العالية ليحاضر بدل الشيخ، فيقول الشيخ علي الطنطاوي: " فوجدنا للمرّة الأولى مدرّساً من بني آدم يكلمنا ونكلمه ويضحك في وجوهنا، ما كنت أعلم أنّ المعلم يستطيع أن يضحك!"¹

- عادة الشيوخ بعدم التصريح بأسماء النساء :

لم يكن الشّيخ مثل شيوخ بلده الذين يحسبون أنّ المروءة ألاّ يصرّح بأسماء النساء، ولذلك يقول الواحد منهم (الأهل) و(العائلة) و(أم الولد)، ويرى عيباً بأن يقول زوجتي فضلاً على أن يقول (فلانة) باسمها، وذكر بأنّ من ظنّ التصريح باسم الزوجة عيب أو حسب أنّه مخلّ بالمروءة فإنّه يخشى عليه الكفر، لأنّه يكون قد نسب العيب والاختلال بالمروءة إلى أكمل البشر وأفضلهم محمد (صلى الله عليه وسلّم)، فقد ورد في الصحيح أنّه صرّح باسم عائشة وفاطمة وأمّها خديجة ولم يرَ في ذلك عيباً.²

- الاحتفال بالمولد النبوي :

لقد خصّ الشيخ أهل الشّام بالذكر بعادة الاحتفال في المولد النبوي، وذكر أنّ هذه العادة موجودة في كثير من البلدان، فهم يجتمعون لقراءة قصّة المولد وتوزيع قراطيس السكر (الملبس) وكان الشيخ قد نبّه أن أكثر الذي يقرأونه في المولد لا تصحّ نسبته إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) . ولقد تحوّل هذا الاحتفال إلى مهرجان وطني شعبي أيام الثورة السورية.³

-عادة الغناء عند البائعين :

وهي من عادت النّاس في دمشق، حيث يقول الشيخ الطنطاوي: " وكنا نقضي حياتنا نغني كما يغني الصرصور في الصّيف، فالمرء إذا انفرد بنفسه (نفس) بالغناء، وأجير الخبّاز وهو يحمل

¹ المصدر نفسه .

² ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 258/1.

³ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 287/1.

على رأسه (المعجن) إلى الفرن يغني، ونداء الباعة كلّه غناء في كلام إن لم يكن شعرًا حقيقيًا فهو خير من كثير مما يشير اليوم على أنه شعر".¹

ومن هذه النداءات :

- نداء بائع الباذنجان: (أسود ومن سواده هرب النّاطور) وهي صورة ناطقة، صورة ناطور يرى شدة سواد الباذنجان فيشمر عن أذيال الفرار.²
- نداء بائع الثّين، إذ ينادي (دابل وعلى دباله يا عيون الحبيب)، (من دباله يمشي لحاله).³
- نداء بائع الزعبوب (أي الزعرور) ينادي: (أبيض أحمر يا زعبوب، تمر محنّي يا زعبوب، البزر بن يا زعبوب)⁴، ويقول الشيخ معلقًا: "كلامّ موزون يغني بلا مغنٍ إلّا إلى عازف آلة يصحبه أورقٍ يضبط نغمته".⁵
- نداء بائع الجرداق⁶: وكانوا ينادونه نداء غزل، إذ يقولون: "ياما رماك الهوى وقلبي انكوى عليك يا ناعم"⁷ فالجردقة إن هبت عليها التّسائم وهي في يد صاحبها طيرها الهواء، وهذا وصف الخفة والرّقة، وفي هذه العبارات جمالٌ في التعبير والتّصوير.⁸
- نداء بائع العنب في آخر الصيف إذ يودّعه فينادي " ودّع والوداع لسه يا عنب"، "هدّوا خيامك وراحت أياّمك، ما بقي غير الحطب يا عنب" وفي هذا تنكير ببقاء الدّيار ومخاطبة الأطلال، وهو أصدق ما قاله شعراء الجاهلية في شعر العاطفة.⁹

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 44/2.

² ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 43/2.

³ المصدر نفسه

⁴ علي الطنطاوي، ذكريات، 44-43/2.

⁵ المصدر نفسه

⁶ هوالحوى الرّقيقة التي تكون كالطبّق الواسع عليها خطوط الدبس، وهو عسل العنب .

⁷ علي الطنطاوي، ذكريات، 44/2.

⁸ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 44/2.

⁹ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 45/2.

- بائع الملفوف: وكانوا يطلقون عليه (اليخنا) فينادون: "يخنا واطبخ، والجارية تنفخ، والعبد على الباب يطير الكلاب".¹

وكان يومئذٍ الطبخ على نار الحطب، ولا تدكّي النار إلا بالنفخ عليها وكان في البيوت الممالك من العبيد والجواري.²

-بائع البليلة: "بليلة بلبلوك، وسبع جوار خدموك يا بليلة"³

-بائع الشمندر الساخن، ينادي " بردان تعال صوبي، أنا بيّاع العسل".⁴

-بائع (غزل البنات)⁵ : ينادي : (يا غزل البنات، ياما غزلوك في الليلي يا غزل البنات) .

-وإذا سمعت من ينادي في الصّباح (الله كريم) أوفي النّهار (الله دايم)، فاعلم أنّ الأول بيّاع الكعك والثّاني بيّاع الخس .⁶

-عادة التّزيّن عند النّساء :

ومما ذكره في ذلك، زينة نساء دمشق قديمًا، لقد تميّزت تلك الفترة ببساطة في الزينة، اقتصر أكثرها على الكحل (كحل الإثمد)، والقليل من الأحمر الذي يوضع على الخدود، أمّا صبغ الشّفاة والأظافر فما كان موجودًا .

والحواجب كانت تعرّض وتسوّد بما يسمّى (الخطوط)، فصار النّساء ينتقنها ويذهبنها إلا خطأً دقيقًا لا يرى إلا بالمجهر⁷، وهذا ما يطلق عليه النّمص، وقد ورد حديثٌ عن رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، ذكر فيه أنّ الله لعن النامصة والمنتمصّة، فعن عبدالله قال: " لعن الله الواشمات

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 45/2.

² ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 45/2.

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 45/2.

⁴ علي الطنطاوي، ذكريات، 45/2..

⁵ حلوى لذيذة في اللسان، تنوب تحت الأسنان، وهي عبارة عن خليط من الماء والسكر بتركيز عالٍ وباستخدام الطرد المركزي تتجمع خيوط من السكر على أطراف وعاء خاص، لتتجمع فيما بعد مكونة ما يشبه القطن .

⁶ علي الطنطاوي، ذكريات، 46/2.

⁷ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 102/2، 103.

والمتموشّمات والمنتّمصّات... فيبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، فجاءت فقالت : إنّه بلغني أنّك لعنت كيت وكيت، فقال وما لي لا ألعن من لعن رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت ما تقول، قال : لئن كنت قرأتيه لوجدتيه، أما قرأت : " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا"¹، قالت :بلى، قال فإنّه قد نهى عنه، قالت : فإنّي أرى أهلك يفعلونه، قال: فاذهبي فانظري، فنظرت، فلم تر من حاجتها شيئاً، فقال : لو كانت كذلك ما جامعتنا .²

-العمل لدى النّساء :

لم يكن النّساء في دمشق يكثرن الخروج من المنزل، فقد كان عليهم من الأعمال المنزلية ما يشغلهم ويملي عليهم وقتهم، ومن ذلك أنّهنّ كنّ يسلقن القمح ويقمن بطحنه برغلاً، وعجن العجين وتقريصه أقراصاً، وكانت المرأة تجفّف (الخضر) وتحفظها للشّاء، وتصنع المكدوس وأنواع المخللات والزيتون والمرّبّى ومعقود الجوز وتجفيف التّين والعنب، وتغسل ثيابها بيدها لا تعرف الثّلاجات ولا الغسالات ولا الجلايات، فضلاً على عدم توفر المياه الجارية في الحنفيّات، ولم تكن عندهنّ خدّامات وإنّما تعمل المرأة كلّ شيءٍ بنفسها ثمّ تكون راضية .³

أمّا عن نساء مكّة فقد ذكر الشّيخ عادةً للنساء هناك ما سمع بمثلها في غيرها من البلدان، وهي أنّ المرأة تضع أقراص العجين أمام باب الدّار فكلّ من رآها من المارة حملها إلى الفرن!⁴

والنّساء في سنغافورة يشاركن الرّجال في الأعمال كلّها، يقول الشّيخ : " فإن طلبت السيّارة وجدت مكان السائق امرأة صينيّة، وإن أردت أن تحلق شعرك وجدت بدل الحلاقين حلّاقات صينيّات، وفي الدكاكين بائعات من أهل الصين".⁵

-عادة البخور (إذا دار العود فلا قعود) : وهي عادة يتميّز بها أهل الخليج، وقد رآها الشّيخ لأوّل مرة عند أهل القرّيّات في السعودية عندما كان بضيافة الأمير هو والشّيخ ياسين الروّاف وجماعة

¹ سورة الحشر، 546/7.

² حديث صحيح، أخرجه بخاري، باب وما آتاكم الرسول فخذوه، رقم (4886).

³ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 104-103/2.

⁴ ينظر :علي الطنطاوي، ذكريات، 103/2.

⁵ علي الطنطاوي، ذكريات، 113/6.

آخرين، يقول الشيخ الطنطاوي بعد جلوسهم عند الأمير : " ثم أُديرت علينا المبخرة وفيها البخور، فلم ندر ما ن صنع بها حتى رأينا الأمير يضمّ عليه عمامته (أي عترته) وعباءته حتى يتعق الطيب ثيابه ثم يدعها، فتشبهنا به فصنعنا مثله " ¹.

ويكمل : " وانتهى تدوير البخور علينا، وأبصرنا الأمير ينظر إلينا فلم نفهم ماذا ينتظر منا، وأبصرنا الأمير ينظر فقمنا معه، فقام الرّواف فاستأذن فقمنا معه، على أن نعود إلى الأمير الظهر للغذاء، فلما خرجنا قال الشيخ ياسين الرّواق : " ألم تسمعوا المثل النجدي ؟ (إذا دار العود فلا قعود)، فعلمنا سرّ نظر الأمير إلينا " ².

-من عادات تقديم الطّعام :

ذكر الشيخ عادة أهل القرّيات في تقديم الطّعام، وعادتهم أن يمدّوا سماطاً على الأرض ويضعوا عليه قصعة مليئة بالأرز وعليه خروف كامل برأسه، ويقدمونه مع السمن العربي ويأكلونه بأيديهم، يأخذون قبضة من الأرز واللحم فيديرونها حتى تصير كالكرة الصغيرة ثمّ يقذفونها في حلوقهم ³.

وقد استغرب الشيخ عادتهم وحاول الفعل مثلهم عندما دعي عندهم على الطّعام في أحد الأيام فما استطاع، فقام عن الطّعام وعينه تلمؤها الشهوة إليه، وبطنه فارغ تزقزق عصافيره تطلب العودة إليه ⁴.

ومن عادات الطّعام التي شهدتها الشيخ وذكرها : عادة الإنجليز في تقديم الطّعام، وقد شهد ذلك في فندق في كراتشي كان يتبع عادات الإنجليز، حيث إنّ الإنجليز تركوا العديد من آثارهم في الهند وباكستان .

ومن هذه العادات أنّهم يستيقظون الساعة السابعة فيشربون الشاي بالحليب، فإذا مرّت ساعة جاء الفطور فأكلوا أكل من لا يخشى الفزر (بيضتين وقطعة لحم وزبدًا ومرّبي وبودينغ، وشربوا معه

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 61/3.

² علي الطنطاوي، ذكريات، 61/3.

³ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 61-60/3.

⁴ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 61/3.

الشاي باللبن (الحليب)، فإذا جاء الظهر أكلوا أكلاً لماً (لحمًا باردًا ولحمًا حارًا وخضارًا وحلوى وفاكهة)، فإذا كانت الساعة الرابعة أكلوا الفزاني¹ وشربوا عليه الشاي باللبن² (الحليب) فإذا كان المساء أكلوا أكبر من أكلة الظهر ولا يأخذون الخبز مع ذلك كله إلا مغطى بالزبد³. يقول الطنطاوي: "لم أفهم معنى قولهم " إنَّ المؤمن يأكل في معيِّ واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء"⁴ حتى عاشرت الإنجليز ورأيت أكلهم."⁵

وفي أندونيسيا من عاداتهم أنهم لا يقدمون الخبز ويعتبرونه ترفاً، ويستبدلونه بالأرز، ويكون مسلوفاً بلا ملح أو سمن، وهذا الأرز مشهور في كلِّ من باكستان والهند وملايا .

-طلب القهوة وطبخها وتقديمها :

عندما زار الشيخ تبوك، وجد أن لهم عادة معيَّنة في طلب القهوة وتقديمها . فقد ذكر أنه عندما زار أمير تبوك (وهومن عائلة السديري) لحظ وهو داخل الرجال أن الخويان واقفين في رحبة الدار، وعلى السلم، وأمام الغرفة وعلى بابها، فما قال الأمير (قهوة) حتى صاح الذي على الباب قهوة، وكرر الذي يليه حتى وصل الصوت إلى صانع القهوة.⁶

وكانت هذه طريقتهم في طلب القهوة حتى يسمع الجيران ومن هم حولهم ليحضروا إليهم !.

أما عن طبخها فمن عاداتهم أيضاً أنهم لا يطبخون القهوة كما في المدن بل يضعون (الهيل) أكثر مما يضعون من مسحوق البن، وينقلونها من دلة إلى دلة، وهذه الدلال عند أصحابها من السقاة أسماء كأسماء الأولاد، فهذه العروسة وهذه الأم... الخ.⁷

¹ أي : الكاتو.

² يطلق عليه المصريون (اللبن) وهو(الحليب) .

³ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 250/5.

⁴ حديث صحيح، أخرجه بخاري، كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل في معيِّ واحد، رقم (5393).

⁵ علي الطنطاوي، ذكريات، 250/5 .

⁶ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 85/3.

⁷ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 86/3.

وآخر عاداتهم التي ذكرها الشيخ في تقديمهم للقهوة، أنّ السّاقى يمسك (الدّلة) باليد اليسرى ويقدم الفناجين باليمنى . والذي يصنع هذا الصنع في الشّام فيقدم الفنجان باليسرى عدّ ذلك إهانة للضيف ¹.

ويقول الشيخ: "ومن الإهانة أن يتخطى واحداً فلا يقم إليه الفنجان، والقاعدة أن يبدأ من اليمين ثمّ يقدمها للقاعدين على تسلسل أماكن قعودهم، ولا يصبّ الفنجان إلا قليلاً (رشفةً واحدة)، وليس من الكرم أن يملأه، ومن اكتفى هزّ الفنجان، فإن صبه قبل أن يهزه فعليه أن يشربه فإن لم يشربه لم يجز أن يقدمه الساقى لمن بعده بل يشربه هو أو يرقيه على الأرض، ولو كانت مفروشة بالبساط الغالي أو السجاد الثمين" ².

ويقول الشيخ معلّقاً: " هذا حكم العادة أمّا حكم الشرع فإنّ هذا لا يجوز لأنّه من باب إضاعة المال وإفساده" ³.

-عادة السب والشتم بين الدّول :

يقول الشيخ في ذكرياته عن أندونيسيا: " والقوم في أندونيسيا أرقّ النّاس نفساً وأرهفهم حسّاً، لا يحملون شدّة ولا عنفاً، ولقد لمت السائق مرّة على ذنب أذنبه ورفعت صوتي عليه فبقي أيّاماً حزينا، وما سمعت في أندونيسيا ضجّة أبداً، فالشّوارع تكون هادئة والكلام يكاد يكون همساً، وما رأيت فيها (خناقة)" ⁴

ثمّ يكمل فيقول: "والخناقات في الشّوارع مقياس أعصاب الأمم !، ففي بغداد تبدأ الخناقة فيكون للسبّ والشتم عشرون ثانية فقط، ثمّ يكون سلّ الخناجر، وفي دمشق يستغرق السبّ دقيقتين ثمّ يكون اللطم واللکم وضرب الكراسي، وفي القاهرة يستمرّ السبّ والتهديد نصف ساعة ثمّ لا يكون شيء، وفي أندونيسيا لا يكون سبّ أبداً، لأنّ لغتهم -كما بدا لي -خالية من ألفاظ السبّ" ⁵.

¹ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 86/3.

² علي الطنطاوي، ذكريات، 87/3.

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 87/3.

⁴ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 192/6.

⁵ علي الطنطاوي، ذكريات، 192/6.

-من عادات مؤذني المسجد النبوي :

كان من عادات مؤذني المسجد النبوي القادمين من المدينة أنهم يأتون بعد صلاة العشاء بابتهالاتٍ وأناشيد نبويةٍ موجودٌ مثلها في مصر وغيرها وهي بدعة وليست من الدين.¹
وفي الشام كان لحن الأناشيد مربوط بالأيام، فلكل يوم نغمٌ من المقامات السبع الأصلية .

ثالثاً : الأحزاب السياسية في البلاد العربية وأندونيسيا:

لم يذكر الشيخ في ذكرياته الكثير عن الأحزاب السياسية التي أنشئت، إلا أنه تحدث عن حركة الإخوان المسلمين وبين رأيه فيها ونفى الانتماء إليها، هذه الحركة التي شهد الشيخ إنشائها ومن أنشأها، وكان بينهم مواقف وآراء متفقة ومختلفة، وممن شهد من قادة الحركة : حسن البنا، الذي يعتقد الشيخ أن الدعوة الحقيقية بدأت على يده، وقد شهد أيضاً المرحلة الثانية للإخوان بعد اغتيال حسن البنا وانضمام سيد قطب للجماعة، وكان الشيخ قد عرف سيد قطب عن طريق حرب أدبية نشأت بينهما في إحدى الصحف، حيث كان سيد قطب يدافع عن قلم العقاد والشيخ الطنطاوي يدافع عن الزايعي، وكان ذلك قبل انتقال سيد قطب إلى الفكر الإسلامي، ثم التقيا في مصر في إحدى المكتبات، وفي النهاية قال عنه الشيخ أنه نال ما كان يتمنى هو، وهي الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الحق. ثم بين رأيه في الأحزاب السياسية بوجه عام، ومما ذكره عن الأحزاب، ذكر الأحزاب الإسلامية التي ظهرت في أندونيسيا وفي أي عام نشأت وعلى يد من أنشئت .

لقد بين الشيخ رأيه بوضوح في الأحزاب السياسية، ولم ينضم لأي حزب بشكل مباشر، لكنه كان يدعم ما يراه صواباً وينقد ما يرى أنه مائل عن الصواب، يقول : " وأنا على طريقي التي لزمتهما عمري كله، لم أدخل يوماً حزباً ولم أنتسب إلى جماعة، ولا ربطت فكري بفكر غيري إلا أن يكون الله ألزمني باتباع رأيه وإطاعة أمره، من مبلغ حكم الله أوحاكم مسلم لا يأمر بما يخالف شرع الله، أو أب أو أستاذ يأمر بخير يحبه الله ".²

ويكمل : " بل إنَّ المسلم يسمع كلمة الحق من كل من ينطقه الله بها صغيراً كان أم كبيراً .. وأنا أسير في الخط الذي أريت أنه الطريق الصحيح، فمن وجدته يمشي معي فيه أيده وناصرته،

¹ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 107/1

² علي الطنطاوي، ذكريات، 338/1.

وإن حاد عنه ضالاً هديته، وإن كان متعمداً نصحته أوزجرتة، لذلك أيّدت بقلمى الاخوان المسلمين في مواقف ونقدتهم في مواقف، وما رجوت شكراً على تأييد ولا وجدته، ولا خفت لوماً على نقدٍ ولا باليته، وذلك كله على ضعفي الذي أقرُّ به ولا أنكره على إثاري دائماً العزلة والانفراد".¹

أما عن الأحزاب الإسلامية التي ظهرت في أندونيسيا فهي :

-شركة الإسلام: هو أول حزب إسلامي في أندونيسيا تأسس على يد القائد الأستاذ الأكبر (عمر سعيد شكروأخينوتو)، وكانت بداية بعد سنوات قليلة من انتهاء الحرب اليابانية الروسية.²

إذ أسس الشبان المثقفون أول اتحاد سياسي هو (بودي أوتوهمو)، وبعد ذلك تأسست جمعية الشركة الإسلامية التجارية، ثم أصبحت حزباً بعنوان (شركة إسلام) مع العلم أنّ كلمة (شركة) في اللغة الأندونيسية تعني (الجمعية)، وكان هذا الحزب هو الساق الذي تفرعت عنه الأحزاب والجمعيات كلها³. وكان موجوداً عندما زار الشيخ الطنطاوي أندونيسيا .

الجمعية المحمدية : أسسها الرجل الصالح المصلح (الشيخ أحمد حمدان) سنة 1912م، وكانت لما زار الشيخ أندونيسيا أكبر جمعية تعليمية في الشرق، وربما كانت أكبر جمعية في العالم للتعليم.⁴

وفي العام نفسه سنة 1912 أسس أحمد السكرتي الأنصاري (وهو سوداني الأصل) جمعية الارشاد، وكان لها لما زار الشيخ أندونيسيا نحو 5000 سنة، والتدريس فيها كلها باللغة العربية، ومدرستها الكبرى في (سورابايا).

وفي عام 1914م أسست جمعية نهضة العلماء على يد الشيخ هاشم الأشعري وهي جمعية سياسية تعليمية . زار الشيخ من مدارسها معهد القرآن في (كرافياك) قرب (جوكجا)، وهي مدرسة عربية سلفية.

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 338/1 .

² ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 253 /6 .

³ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 253/6 .

⁴ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 253/6 .

وعام 1930 أسس كياي عبدالرحمن شهاب جمعيته وكان لها في كل بلدة وكل قرية من سومطرة مدرسة.

وفي سنة 1930 أسست جمعية وحدة العلماء في أبتشيه في أقصى الشمال من سومطرة، في أعرق منطقة في الإسلام في أندونيسيا وهي التي مرّ بها ابن بطوطة .

رابعًا :قضايا الوحدة والتحرر في الأحزاب السياسية :

إنّ من عللنا المزمّنة التي لا نزال نذوق عقابيلها إلى اليوم، هي أنها كلّما قامت جماعة ونجحت وسارت في طريقها انفصلت عنها طائفة منها فألفت جماعة أخرى مستقلة عنها، هذا الداء الذي لم نعرف طريق الخلاص منه، وسأذكر القضايا التي ذكرها الشيخ في ذكرياته والتي سنجد أنّها تتحدّر في النهاية إلى التفرّق والانشقاق وإن اجتمعت وتوحدت في فترة زمنيّة معيّنة تحت ظروف معيّنة .

فقد انفصل الدكتور سوكيمان بجماعته عن (شركة الإسلام) وأسّس الحزب الإسلامي الأندونيسي. وفي سنة 1936م انفصل الحاج (أوغست سالم) وأسّس حزب التنوير الإسلامي وجمعيّة الشّبان المسلمين¹.

ثمّ كوّنّت الجمعيات والأحزاب الإسلاميّة بين الحزبين شبه اتّحاد باسم المجلس الإسلامي الأعلى، وعقد هذا المجلس مؤتمرات عامّة واشتغل بمسألة الخلافة، وأسّس (جمعيّة الخلافة في الهند الشرقية)². وكانت هذه الجمعيّة فرعًا لجمعيّة الخلافة في الهند، وكان من أعمالها أن أوفدت وفدًا إلى الملك عبد العزيز من رئيس شركة إسلام وسلطان منصور عن الجمعيّة المحمّديّة³.

واهتمّ هذا المجلس بقضايا العرب في فلسطين وبرقة، وعمل على مقاطعة إيطاليا . وأنشأ هذا المجلس فرعًا للصحافة يردّ مفتريات المجلّات الأوروبيّة والصينيّة، ولا سيّما الحملة التي أثارها المبشّر جاندير والمجلّات الإلحادية مثل (صوت العموم)، وجاهد جهادًا رائعًا لإبطال القوانين

¹ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 254/6.

² الهند الشرقية هي الترجمة العربيّة لكلمة أندونيسيا .

³ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 272/6.

الاستعمارية، ومنها قانون الزواج المدني المخالف للإسلام، وقانون التدريس الديني، وقانون تملك الأراضي جبراً للشركات الأجنبية بحجة النفع العام.¹

وأيام حكم اليابان كوّنت اتحاداً أوثق وأقوى وهو مجلس الشورى الإسلامي الذي كان يدعى اختصاراً باسم (ماشومي)، ولما كان الاستقلال وصارت فرق الدفاع هي الجيش، بقي حزب الله معتزلاً، وألف شبه حكومة داخلية باسم (دار الإسلام).²

وعقدت الأحزاب الإسلامية والجمعيات الإسلامية مؤتمراً جمعها كلها، فُزِر فيه توحيد الصفوف بحزب ماشومي وانتخب لرياسته أول الأمر سوكيما، وكان السكرتير الأول أبي كوشنو، وهو أخو شكري أمينوتو، والثاني كارتو سويريو، والسكرتير العام ولي الفتاح .

ثم عاودت الانفصالات والانقسامات، ففي منتصف عام 1947 م انشقت جماعة (شركة الإسلام) وأعادوا تشكيل حزبهم القديم ودخلوا الوزارة يومئذ، ثم انشقت بعدهم (التربية الإسلامية) سنة 1949م وكوّنت حزباً مستقلاً رئيسه سراج الدين عياش.³

ثم كان مؤتمر جوكجا، أعظم مؤتمر إسلامي في تلك البلاد شهدته سبعمئة مندوب، كان من قراراته: تثبيت ماشومي، والمطالبة بحدّ الخلاف مع (دار الإسلام)، ولكنّ هذا الاتحاد لم يدم وعاد إلى الانفصالات، وانشقت جمعية نهضة العلماء، وعقدت هي وشركة إسلام والتربية الإسلامية مؤتمراً في سومطرة الجنوبية وأعلنت انفصالها عن ماشومي، وشكلت حزباً واحداً منها هو (مسلم ليغ)⁴، وقررت اعتبار الخلاف بينها وبين ماشومي خلافاً شكلياً، خلافاً في الطريقة لا في المبدأ ولا في الغاية، وانتخب الكياي دحلان رئيساً لها.

فصار في أندونيسيا جبهتان إسلاميتان : (ماشومي) ورئيسها محمد ناصر، و(مسلم ليغ) ورئيسه دحلان . كما أنّ فيها (دار الإسلام) ورئيسها كارتوسويريو.⁵

¹ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 273/6.

² ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 273/6.

³ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 274/6-275.

⁴ أي الجماعة الإسلامية.

⁵ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 276/6.

هذا عن الأحزاب في أندونيسيا، أما في مصر فإن الأحزاب الإسلامية والسياسية لم تسلم من الانشقاقات في الفترة الزمنية التي عاش فيها الشيخ، ومن هذه الأحزاب : حزب الوفد، حركة الإخوان المسلمين، إلا أن الشيخ لم يتطرق في الحديث عن الأحزاب إلا في أندونيسيا ولم يذكر قضايا الوحدة والتحرر في مصر وسوريا وغيرها من البلاد العربية .

خامسًا : الإسلام في برنامج الأحزاب السياسية :

إنّ من أشهر الجمعيات التي كانت في عصر الطنطاوي وشهد انشاءها :جمعية الشبان المسلمين ومؤسسها عبد الحميد سعيد باشا، وجمعية الهداية، وجمعية الإخوان المسلمين ومؤسسها الشيخ حسن البناء، هذه الجمعيات اللاتي بدأت كحركات دعوية، وانتهى الأمر فيها إلى دخول السياسة، ومما وثّقه الشيخ عن تلك الجمعيات، قوله : " جمعية الشبان المسلمين لم تكن تجديدًا في فهم الإسلام، ولم يكن لها عملٌ جدّي في الدعوة إليه ولا كانت تصحيحًا لمعتقدات العوام، ولا لحماية البدع، كانوا يتوهمون أنّها من الإسلام، وإنّما كانت

(وأنا هنا لبيان الحقّ ولا للمجاملات) كانت تنظيمًا فقط، ولعلّ اشتغال أعضائها بالرياضة وإقامة الحفلات لها أكثر من اشتغالهم بالعلم والدعوة." ¹

وعن جمعية الهداية يقول : " كانت تنظيمًا ظاهريًا لعمل المشايخ في الدعوة إلى الله ؛ تلقى فيها محاضرات لا تكاد تحسّ أنه فيها تجديد ."²

ثمّ نكر أن الدعوة (المنظمة الحقيقية) بدأت على يد حسن البناء، والذي كان يتردد على خال الشيخ الطنطاوي (محبّ الدين الخطيب) في المطبعة السلفية، ويقول عنه الطنطاوي : " وكان هادئ الطبع، رضي الخلق، صادق الإيمان، طلق اللسان، أثاره الله قدرةً عجيبةً على الإقناع، وطاقة نادرة على توضيح الغامضات وحل المعقّدات، والتوفيق بين المختلفين".³

ومما لا يخفى على أحد فإنّ هذه الجمعيات نبتت من الإسلام ولخدمته والدعوة إليه، وهذا كان مقصدها سواء أحقته أم لا، وقد وصف مؤسس حركة الإخوان الشيخ (حسن البناء) حركة

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 1/ 337.

² علي الطنطاوي، ذكريات، 1/ 338.

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 1/ 338.

الإخوان بأنها : دعوة سلفية، وطريقة سنّية، وحقيقة صوفيّة، وهيئة سياسيّة، وجماعة رياضية، ورابطة علمية، وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعيّة، فالأصل فيها نصرّة الإسلام والمسلمين .

سادسًا : الحروب والمعارك التي شهدتها الشيخ الطنطاوي ومواقفه منها :
الحرب العالمية الأولى :

لم يكن الشيخ قد بلغ الخامسة من عمره حتّى اندلعت الحرب العالميّة الأولى، والتي كان لها أثر على حياته وعلى بلاده، فقد هتكت هذه الحرب الستار بينها وبين حياة أوربا، فدخلت على الشّام بخيراتها وشرورها وعلومها وفسوقها وبذلت بذلك طرائق معيشتهم وأساليب حياتهم وتفكيرهم، وكانت كصخرة كبيرة ألقىت على بحيرة ساكنة فقلبت قلبًا وجعلت أسافلها عاليها .

وعلى أنّ الشّام بعيدة عن الحرب إلا أنّ شرّ هذه الحرب وصل إليها، فشهد الشيخ القحط في البلد، فرأى الأفران مسدودة واجهتها بالخشب ما فيها إلا طاقة صغيرة والنّاس يطلبون أرغفة من الخبز الأسود فلا يصلون إليها.¹

ثمّ خلت الشّام إلا من الشيوخ والنساء والأطفال أمّا الشبان فقد ساقوهم (مشاة على الأقدام) إلى حرب ترعة السويس أوّلًا التي عادوا منها بالهزيمة، وإلى معركة (جناق قلعة) لمحاربة أعداء الألمان، ووصل حال النّاس كما ذكر الشيخ إلى أن ينيشوا أكوام القمامة لعلّهم يجدون فيها بقايا طعام!²

معركة ميسلون:

وصف الشيخ هذه المعركة بأنّها منعطف خطير في تاريخ الشّام، وأنّ النّاس كانت في جنّة فأصابها إحصار فيه نارٌ فاحترقت، وأنّهم كانوا في قصر فيه كل ما يطلبون فأتاه زلزال مدمر فتركه خرابًا.³

¹ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 56/1.

² ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 57 /1.

³ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 91/1.

وأصبح النَّاس على أخبارٍ تتوارد عن مسير الفرنسيين إلى الشام بقيادة الجنرال غورو، ولم يعلم أهل الشَّام آنذاك بأنَّ الدول الحاكمة قد تقاسمتهم وهم نيام، وأنَّهم ورَّعوا غنائم الحرب كما توزَّع المواشي التي أخذها الجيش الغالب من الجيش المغلوب، وأنَّ الملك قد وافق عليه وسرَّح الجيش، وسرت أقوال أنَّ مدير البريد العام حسن بك الحكيم قد أخذ برقية الملك لأنَّه لم يرض أن يكون شريكاً في هذا الموقف الذليل، ثمَّ تبيَّن أن حسن بك السياسي النظيف رئيس الوزارة مرَّات، رجل الاستقامة والإصلاح لا يزال حيًّا ويعيش على راتب تقاعدي لا يعدل راتب معلَّم ابتدائي وهو أحد أعلام التاريخ الحديث، ولو شاء لكان كما كان غيره من أصحاب الملايين.¹

واشتعلت البلد بنار الحماسة، وكان الوطني المخلص وأحد أركان التعليم الشيخ (كامل القصاب) يذكي هذه النَّار ويضرمها، وتألَّفت اللجنة الشعبية لجمع المال، وهم النَّاس على التكنة الحميدية وخطفوا ما وجدوا من السِّلاح، ومنهم من أخذ بندقية فرنسية ورصاصاً ألمانياً فانفجرت به.²

وكان يظنُّ الكثير أنَّ الحرب تكتسب بالخطب، ويقول الشيخ في ذلك: "كما ظنَّ أحمد الشقيري - رحمه الله - وأبوه الشيخ أسعد من قبله وخرجوا بالأهازيح والأناشيد يتسابقون إلى ساحة المعركة"³ وكان من المتحمسين القائد الشاب يوسف بك العظمة، شهيد ميسلون وقبره فيها . ولم يستمع أحد لنصح كبار العسكريين كرضا باشا الركابي، وكانوا يظنون أن جماهير ما عندها من أدوات الحرب إلا الحماسة تستطيع أن تردَّ جيشاً فرنسياً يقوده جنرال !، فكانت الهزيمة المرتقبة بعد قتال قصير، ودفن الاستقلال وهو لم يتم سن الرِّضاعة وبدأ حكم الأجنبي للشام.⁴

الحرب العالميَّة الثانية:

ذكر الشيخ بعض أحداث هذه الحرب خلال حديثه عن تاريخ أندونيسيا، وسلط الضوء بحديثه عن أندونيسيا واليابان، ومما ذكره أن الاحتلال الياباني لأندونيسيا والملايا جاء خلال الحرب العالميَّة الثانية، فكان بلاء هان معه بلاء الاستعمار الهولندي، وخسرت به اليابان من طيب

¹ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 92/1.

² ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 92/1.

³ علي الطنطاوي، ذكريات، 93/1.

⁴ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 93/1.

الذكر وما كان معلّقاً عليها من كبير الأمل، وقد سمع الشيخ الطنطاوي في مدن جاوة وفي ملايا العجائب من أعمال اليابانيين¹.

ورأى الشيخ أن للاحتلال الياباني فضلاً واحداً، وهو فضلٌ غير مقصود، هو أنّ اليابانيين درّبوا الناس تدريباً عسكرياً وألّفوا منهم فرقاً للدفاع الوطني، أرادوا أن تكون عوناً لهم على الحلفاء لتثبيت احتلالهم، فكان منهم العون على الاستقلال، وكان قائد هذه الفرق الجنرال سوديرمان، ولم يرض أكثر المسلمين مع ذلك عن هذه الفرق لأنّصالها باليابان، وألّفوا (حزب الله) بقيادة زين العابدين من جمعية نهضة العلماء، ودرب اليابانيون هذه الفرق أيضاً².

وكان من نتيجة عسف اليابان أنّ الشعب الأندونيسي وهومن أعزّ الشعوب، أبقى احتمال المذلة، فكانت ثورة ستغابارة في جاوة الغربية بقيادة أحد المشايخ من مدرسي الفقه، وثورة ريتا في جاوة الوسطى، ثمّ ثارت فرق الدفاع الوطني نفسها وأوقعوا باليابان الواقعة المشهورة في نويتانا في كلامنتان³.

ثمّ يعقب الشيخ فيقول: "كانت اليابان ظالمة فوجدت أظلم منها، وهم الأمريكيون الذين لبسوا يوماً جلود الشياطين ونسوا الإنسانيّة والخلق والدين، وارتكبوا أكبر جريمة منذ جريمة قابيل إلى الآن. وأكبر جريمة بلا استثناء حين ألّفوا على هيروشيما وناغازاكي القنبلتين الذريتين اللتين دمّرتا مدينتين كاملتين فسلمت من ذلك اليابان وألقت سلاحها⁴."

سابعاً : التعليم والمدارس زمن الطنطاوي :

لقد شهد التعليم في الحقبة التي عاش فيها الطنطاوي مراحل متعددة متغيّرة، ولقد شهد الشيخ في بداية حياته الطرق القديمة في التعليم، حيث شهد الكتابيب وسجّل فيها إلاّ أنّه لم يستطع أن يستمر فيها لشدة ما لاقى منها، ولطالما وصف الشيخ التعليم في صغره بأنّ فيه جدية وقسوة، وقد ذكرت ذلك في عدّة مواضع، ومنها، يقول الشيخ: " وكّلوا بنا معلّماً شيخاً كبيراً لا أسميه، فقد ذهب إلى رحمة الله، فكان يحبسنا فيها (القاعة) ونحن أطفال، لا يدعنا نخرج منها حتّى نكتب

¹ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 255/6.

² ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 255/6-256.

³ ينظر: علي الطنطاوي، ذكريات، 256/6.

⁴ علي الطنطاوي، ذكريات، 256/6.

(ألف باء) كلها في ألواح الحجرية أربعاً وعشرين مرة، نكتبها ليراها ويمحوها ثم ليراها ويمحوها، إلى أن يضطر أحدنا ويزعم أنه مضطر إلى الخروج إلى المرحاض فيسمح له بدقائق إن زاد عليها ازدادت عليه ضربات الخيزران . كُنَّا نكذب نعم أفليسوا هم الذين دفعونا للكذب !¹

ثم يكمل: " كنت أنظر من شبّك القاعة إلى التلاميذ يلعبون في الساحة الداخليّة، والطلاب الكبار يمشون في الصّحن الكبير كما ينظر السجن إلى الطلقاء من طاقة السجن²

وقد كان يذكر الشيخ هذه المواقف ثمّ يعقّب عليها بأنّه كان يصف ما كان عليه التعليم وحتّى يشعر الطلاب بالنّعيم الذي هم فيه، وكان يقول بأنّ التعليم في زمانه كان جاداً وقاسياً ولكنّه أعمق أثراً وأكثر فائدة، وقد كانت عادة الفلق والضرب منتشرة في المدارس، ولم يكن عدد المدارس كثيراً آنذاك إلاّ أنه كان قد وجد بعض المدارس الخاصّة للفتيات وكان ذلك بسعي المصلح الموجّه الشيخ طاهر الجزائري، كما أنّه كان هناك مدارس خاصّة للنصارى، أقيمت في الأصل لهم ولكن كان يدخلها بعض المسلمين بحجّة تعلّم اللغة الأجنبيّة.³

وكانت بعض المدارس مثل المدرسة التجاريّة مدرسة جامعة، ففيها قسم للحضانة وقسم للابتدائي، وقسم للإعدادي والثانوي، أي أنّ مجموع سنوات الدّراسة فيها اثنتا عشرة سنة.⁴

وكان من ميّزات المدرسة التجاريّة أنّها كانت تعتنى بالرياضة، يقول الشيخ: " وقد كان يدرّس فيها أكابر المشايخ الدروس الدّينيّة، وقادة الجيش العثماني العلوم الرّياضيّة والطبيعيّة، وحسبكم أنّ من مدرسيها مدير معارف سوريا هاشم بك ...، ومن مآثر المدرسة عنايتها المبكّرة بالألعاب الرّياضيّة، ولقد كان الدكتور محمد سالم من أوائل المعنّيين بكرة القدم ومن قدماء لاعبيها⁵، وقد أنشأ طاهر الطنطاوي ملعباً كاملاً لنفسه وإخوانه.⁶

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 45/1 .

² علي الطنطاوي، ذكريات، 45/1 .

³ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 44/1

⁴ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 43/1 .

⁵ علي الطنطاوي، ذكريات، 72 /1 .

⁶ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 72 /1 .

وكما ذكرت سابقاً فقد عاش الشيخ تحت حكومات عديدة فعندما كان زمن الأتراك كان يتعلم اللغة التركيّة ويهتفون بها في الصّباح، أما زمن الاستقلال فأصبحوا يهتفون باللّغة العربيّة وكانوا قد بدأوا تلقّي مبادئ اللّغة الفرنسيّة، فصاروا بعد الاستقلال يتلقّون مبادئ الإنجليزيّة¹.

وكانوا يعلمونهم في المدارس علم الموسيقى (النوتة الموسيقيّة) مفصّلة غاية التفصيل، علماً نظريّاً فيدرسونهم المقامات والأنغام العربيّة وأنواع الضرب والإيقاعات².

وفي زمن الانتداب كان في دمشق أربع مدارس ابتدائيّة وكانت تسمّى الأنموذج وهي : أنموذج البحصّة، أنموذج الملك الظاهر، وأنموذج الميدان، وأنموذج المهاجرين³.

أما عن طبيعة الامتحان في زمن الانتداب فقد كان يعقد لمدّة ساعة أو ساعتين حتّى يفكر الطّلاب ويتذكّروا ويكتبوا على مهل، وإن عطشوا طلبوا فجاءهم الماء أو ما شاءوا من حلو الشراب وربما سمحوا لهم فدخنوا !⁴، يقول الشيخ الطنطاوي : " عشنا حتّى رأينا هذا بأعيننا، وقد صار معروفاً لا نملك أن ننكره فينكروا علينا إنكارنا."⁵

ثمّ يقول : " وكانوا يأتون كلّ مادة يمتحن فيها بأكبر أساتذتها في البلد، يصطّفون حول مكتب كبير ويوضع أمامه كرسي يقعد عليه التلميذ الصّغير، ويمدّ كل منهم يده إلى أغرب المسائل التي حفظها وأصعبها ويستخرجها من رأسه فيلقياها على رأس هذا الولد المسكين، لا يريد أن يجيب عليها فهو يعلم أنّه لا يقدر الجواب ولكن ليظهر علمه لرفاقه وليريههم سعة اطلاعه وطول باعه، ويأتي الثّاني بأشدّ منها صعوبة وأكثر غرابة كأنّه امتحان للأساتذة الناجحين يكون هذا أوّل الامتحان، فإذا انتهوا من عرض عضلاتهم ألانوا وسهلوا " ⁶، ولذلك يقول الشيخ : " كانوا

¹ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 73/1.

² ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 86/1.

³ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 15/1.

⁴ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 127 / 1.

⁵ ينظر : علي الطنطاوي، ذكريات، 127/1.

⁶ علي الطنطاوي، ذكريات، 128-127/1

يتدافعون الدخول في بداية الامتحان، فإذا هانت شدّته ووهت حدّته، تراحموا عليه وتسابقوا إليه وكان هذا الامتحان بإشراف حاكم دولة دمشق الذي عيّنه الفرنسيون وهو حقّي بك العظم¹

وكانت المساجد في زمن الشيخ تستخدم للتعليم وقد ذكر الشيخ عن المسجد الأموي أنّه كان حافلاً بحلقات التدريس، فلا يكاد يخلو من ثلاث أو أربع منها على الأقل، إلا ساعات محدودة قبل الظهر وبعده، دروس بعد الفجر ودروس بعد العصر ودروس بعد المغرب في مقدّمتها حلقتنا المحدثين الكبيرين، الشيخ بدر الدّين الحسني الذين كانوا يدعونه المحدث الأكبر والشيخ محمد بن جعفر الكتّاني .

هذه لمحة عن التعليم والمدارس زمن الشيخ، وكيف أنّ الشيخ رأى اختلاف التعليم في حياته حتّى كان يقارن بينهما، وذكر ذلك في عدة مواضع من ذكرياته .

¹ علي الطنطاوي، ذكريات، 1/ 128.

الخاتمة :

توصلت بعد هذه الدراسة إلى عدّة نتائج أهمها :

-وجود تعايش بين الأديان في الحقبة التي عاش فيها الطنطاوي وهي القرن الرابع عشر هجري / العشرين ميلادي .

-اختلاف مقاصد بعض العادات والتقاليد بين الشعوب .

-أهمية الاطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى .

-وجود العديد من الأحزاب الإسلامية في الحقبة التي عاش فيها الطنطاوي في البلاد العربية وغير العربية، تقلّبت بين الوحدة والانشقاق .

-أن بعض الأحزاب بدأت كأحزاب دينية ثم أصبحت أحزابًا سياسية .

-تسليط الضوء على بعض الأحزاب الدينية وتوضيح أصلها وحقيقتها، وبيان ما تمارسه مما يكون مخالفًا للشريعة .

-تباين المقاصد في بعض المصطلحات بين الدول .

-تأثير الحروب على كافة نواحي الحياة بما فيها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

-إن تقلّبت الحكم في الشّام أثر على التنوع الثقافي والاجتماعي والسياسي، وبالتالي ظهر التعدد بشكل أكثر وضوحًا.

المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- صحيح بخاري، ط1، دار التأصيل، مصر - القاهرة، 2012م.
- 3- تامر، عارف، معجم الفرق الإسلاميّة، دار المسيرة، بيروت، 1990م.
- 4- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الزّيان للتراث، (د.ت).
- 5- جمعة، محمد لطفي، تاريخ فلاسفة الإسلام، مؤسسة الهداوي، المملكة المتحدة، 2014م .
- 6- الجندي، أدهم، أعلام الأدب والفن، مطبعة مجلة صوت سورّيّة - دمشق، 1954م.
- 7- الحبّازي، مشهور، التعدديّة الثقافيّة في أدب الرحلات ابن جبير نموذجًا، جامعة القدس - أبوديس، أكاديمية القاسمي-مجمع القاسمي للغة العربيّة، فلسطين، (1440-2019م)، الصفحات (297-332).
- 8- الحنفي، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، مكتبة دار باز - مكة المكرمة.
- 9- الخراشي، سليمان، رحلة في عالم الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، ط1، دار القاسم للنشر، الرياض.
- 10- درنيقة، محمد أحمد، التّصوّف الإسلامي الطريقة التّقشبنديّة وأعلامها، جرس برس، (د.ت).
- 11- الدّقاق، عمر، معركة ميسلون، دار الشرق العربي، بيروت .
- 12- ديرانيّة، مجاهد، علي الطنطاوي أديبُ الفقهاء، وفتيةُ الأدباء، ط1، دار القلم، دمشق، 2001م.
- 13- الدّهبي، أبو عبدالله، ظاهرة حافظ الأسد، دار البصيرة.
- 14- الزركلي، خير الدين، الأعلام-قاموس تراجم -لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980.
- 15- سلطان، علي، تاريخ سورّيّة 1918-1920 - حكم فيصل بن الحسين، ط1، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1987 .
- 16- السمهوري، رائد، علي الطنطاوي وأعلام عصره سيّد قطب وآخرون، صداقة-خصومة-نقد، ط1، دار مدارك للنشر، دبي، 2012م.
- 17- السهلي، عبدالله، الطرق الصّوفيّة نشأتها وعقائدها وآثارها، ط1، دار كنوز اشبيليا، المملكة العربيّة السعوديّة، 1426هـ -2005م.

- 18- الشكعة، مصطفى، اسلام بلا مذاهب، ط6، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1976م .
- 19- طرابلسي، فؤاز، سايكس بيكو-بلفور ما وراء الخرائط، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لبنان -بيروت، 2019م.
- 20- طقوش، محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت -لبنان، 1434هـ -2013م.
- 21- الطنطاوي، علي، ذكريات(1-8)، ط7، دار المنارة، جدة -المملكة العربية السعودية، 2011م .
- 22- عثمان، هاشم، تاريخ سورية الحديث عهد حافظ الأسد (1971-2000)، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، 2014م.
- 23- العظم، عابدة، جدّي علي طنطاوي كما عرفته، دار ابن حزم، بيروت -لبنان، 2013م .
- 24- العلوانة، أحمد، ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط1، دار المنارة، جدة -المملكة العربية السعودية، 1998م.
- 25- علي، محمد كرد، خطط الشام، ط3، مكتبة النوري -دمشق، (1403هـ-1983م).
- 26- العمراني، محمود، الشيخ علي الطنطاوي قاضيًا، ط1، دار المنارة، جدة -المملكة العربية السعودية 2017 .
- 27- قاسم، سهير، رسالة ماجستير بعنوان : (الطرق الصوفية وتراثها في فلسطين، الخلوئية و النقشبندية، و العلاوية)، جامعة بيرزيت، فلسطين، رام الله، 2005-2006م
- 28- القرضاوي، يوسف، الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه، ط4، مؤسسة الرسالة -بيروت، 1994م .
- 29- مجموعة باحثين، الإسلام النائم - التصوّف في بلاد الشّام، ط1، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي -الإمارات العربيّة المتّحدة، 2013م .
- 30- مجيد، حسام، إشكالية التعددية الثقافيّة في الفكر السياسي المعاصر جدلية الاندماج والتنوّع، ط1، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، 2010م .
- 31- المرعشلي، يوسف، معجم المعاجم و المشيخات والفهارس والبرامج والأثبات، ط1، مكتبة الرّشيد، الرّياض، 2002م .
- 32- مسعود، جبران، معجم الرائد، ط7، دار العلم للملايين، بيروت -لبنان، 1992م .
- 33- المقرزي، أحمد بن علي، السلوك لمعرفة الملوك(1-8)، ط1، دار الكتب العلميّة، لبنان -بيروت، 1418هـ /1997م.

34- يعقوب، إميل، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة، ط1، دار الصادر -بيروت، 2004م.

المواقع الإلكترونية:

1-الكربي، شيخة ناصر مقال بعنوان: التعدد الثقافي، 2021م، التعدد الثقافي (ae.gov.zhic)

2-نصرالله، سناء، مقال بعنوان: الدكتوراه في العقد الثامن ... بيان على خطى والدها الشيخ علي الطنطاوي، الجزيرة نت، 2019م، الدكتوراه في العقد الثامن.. بيان على خطى والدها الشيخ علي الطنطاوي | أخبار مرأة | الجزيرة نت (net.aljazeera)

3- أحمد حسن الزيّات، المكتبة الشّاملة، (د.ت). أحمد حسن الزيّات - المكتبة الشاملة (ws.shamela)

4- الخضر، سيد أحمد، مقال بعنوان: " الأمير فرديناند قصّة الثّار الذي أشعل الحرب العالميّة، الجزيرة نت، 2018م. الأمير فرديناند. قصة الثّار الذي أشعل الحرب العالميّة الأولى | أخبار | الجزيرة نت (net.aljazeera)

5- معجم المعاني -قاموس-عربي -تركي . ترجمة ومعنى سفيرلك بالتركي في قاموس المعاني. قاموس عربي تركي المعاني مصطلحات صفحة 1 (com.almaany).

6- مكي، مجد، مقال بعنوان: " الأستاذة يمان بنت الشيخ علي الطنطاوي"، رابطة العلماء السوريين، 2013م. رابطة العلماء السوريين | علماء فقهاء، الأستاذة يمان علي الطنطاوي - الداعية المريية والمعلمة الناصحة (com.islamsyria)

7- مقال بعنوان: غورو-قصّة حياة الجنرال الفرنسي الذي أعلن قيام دولة لبنان الكبير، 2021م، غورو - قصة حياة الجنرال الفرنسي الذي أعلن قيام دولة لبنان الكبير - نجومى (com.nojomy)

فهرس المحتويات

أ	إقرار
ب	شكر وتقدير:
ت	المخلص
ث	Abstract
1	المقدمة:
4	هيكلة الدراسة:
5	التمهيد:
6	المبحث الأول: الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في الشام في عصر الطنطاوي:
16	المبحث الثاني: التعددية الثقافية اصطلاحاً:
19	الفصل الأول: سيرة الشيخ علي الطنطاوي
19	أولاً-اسمه وكنيته ونسبته ومولده
21	ثانياً-عائلة الطنطاوي
23	ثالثاً-أسرة الطنطاوي
25	رابعاً: ثقافته:
29	خامساً: وظائفه:
33	سادساً: وفاته:
34	سابعاً: مؤلفاته:
40	الفصل الثاني: التعددية اللغوية
50	الفصل الثالث: التعددية الدينية
50	أولاً: تعدد الديانات:
54	ثانياً: تعدد المذاهب العقديّة:
60	ثالثاً-تعدد المذاهب الفقهيّة:
62	الفصل الرابع: التعددية الاجتماعية والسياسية

62.....	أولاً : فئات المجتمع في البلاد العربيّة :
63.....	ثانياً : العادات والتقاليد:
74.....	ثالثاً : الأحزاب السياسية في البلاد العربية وأندونيسيا:
76.....	رابعاً : قضايا الوحدة والتحرر في الأحزاب السياسية :
78.....	خامساً : الإسلام في برنامج الأحزاب السياسية :
79.....	سادساً : الحروب والمعارك التي شهدتها الشيخ الطنطاوي ومواقفه منها :
81.....	سابعاً : التعليم والمدارس زمن الطنطاوي :
85.....	الخاتمة:
86.....	المصادر والمراجع :
89.....	فهرس المحتويات